أبو بكر الصديق

ومنزلة الصديقية

الطبعة الأولى
١٤٣٩هـ – ٢٠١٨م
جميع حقوق الطبع محفوظة
الناشر : دار نوبل للنشر والتوزيع

سلسلة الخلفاء الراشدين

أبو بكر الصديق

ومنزلة الصديقية

محمد يونس هاشم

دار نوبل للنشر والتوزيع

المقدمة

إننا في هذا الكتاب لا نكتب سيرة ذاتية لأبي بكر الصديق فهذا مما تناوله كثير من الكُتَّاب قديماً وحديثاً ، وإنما هدفنا في هذا الكتاب بيان لماذا حاز أبو بكر لقب الصديق وأهم المواقف الشاهدة على استحقاقه لهذه المنزلة التي لم يصل إليها أحد من صحابة رسول الله سواه .

وفي هذا الكتاب تحليل لهذه المواقف التي تفرَّد بها أبو بكر وبوأته هذه المنزلة العظمى التي لا يعلوها منزلة إلا النبوة .

***

مفتاح شخصية أبي بكر

العقاد ومفتاح الشخصية

كتب العقاد سلسلة كتب العبقريات منها : محمد ﷺ ، وعمر ، والصدِّيق ، والإمام ... ومن من أهم ما يميز عبقريات العقاد حديثة عن " مفتاح الشخصية " التي يقول عنها : "إن مفتاح الشخصية هو الأداة الصغيرة التي تنفتح لنا أبوبها وتنفذ بنا وراء أسوارها وجدرانها ، وهو كمفتاح البيت في كثير من المشابهة والأعراض ، فيكون البيت كالحصن المغلق ما لم تكن معك هذه الأداة الصغيرة التي قد تحملها في أصغر جيب، فإذا عالجته بها فلا حصن ولا إغلاق ! .. والذي نريده بمفتاح الشخصية شيء آخر غير معرفة الضابط الذي يسيطر عليها : نريد به السمة التي تميزه بين العظماء حتى في الإيمان وسيطرته على الأخلاق والأفكار والدوافع ؛ فإن الإيمان ليقوى في نفوس كثيرات ثم تختلف آياته وشواهده باختلاف تلك النفوس ، وهنا نبحث عن " مفتاح الشخصية " لنعرف به الفارق بين الإيمان في طبيعة العبقري وبين الإيمان في طبائع غيره من الأقوياء . " [١]

وكتب العقاد عبقرية الصديق سنة ١٩٥١ وعن مفتاح شخصية الصدِّيق يقول : " كان أبو بكر رجلاً عصبي المزاج دقيق البنية ، خفيف اللحم صغير التركيب .

تركيب يغلب على أصحابه أحد أمرين : إن كانوا من كرام النحيزة (الطبيعة) فهم مطبوعون على الإعجاب بالبطولة ، والإيمان بالأبطال.

(١) عباس محمود العقاد " عبقرية عمر " منشورات الكتب العصرية بيروت ص ٦٦ ، ٦٧ بتصرف.

وإن كانوا من لئام النحيزة فهم مطبوعون على الحسد والكيد ، وهما ضرب من الإعجاب المعكوس يؤدي إليه انعكاس الطبيعة ... ولقد كان أبو بكر رجلاً كريماً أليفاً من أهل الخير والمودة ، فلا جرم كان الإعجاب بالبطولة طبعاً متأصلاً فيه ، مقروناً بكل ما في الإعجاب من حب وثقة وإيمان ، ولا جرم كان هذا الإعجاب " مفتاحاً لشخصيته " مفسراً لكل ما يلتبس من أعماله ، مميزاً لكل ما يتشابه بينه وبين غيره من الصفات ." (١)

وأبو بكر ليس عصبي المزاج كما وصفه العقاد ، وليس مفتوناً بالعظمة إنما كان ممن صَفَت فطرتهم فرقَّت قلوبهم وزكت نفوسهم وكملت بصيرتهم وفطنتهم ، فلما بعث النبي ﷺ ودعاه للإيمان بدين الله دين الفطرة الصافية النقية سارع إلى الإيمان ولم يتردَّد فقد صادفت فطرة الدين فطرته ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللهِ ذَلِكَ الدِّينُ القَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الرُّوم:٣٠] وصار أبو بكر عبداً ربانياً يرى بنور الله ومن أهل ولايته ورعايته ومحط رحمته وهذا أقصى ما يتمناه المؤمن .

وأبو بكر ليس فقط من أحباء الله ومن أهل الله ومن أولياء الله بل الوحيد من أمة محمد ﷺ – فيما نعلم – الذي أنعم الله تعالى عليه بمرتبة الصدّيقية أعلى المراتب بعد النبوة !!

يقول الله تبارك وتعالى: ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء:٦٩]

فالأنبياء أولاً ثم الصدِّيقون، فالصديقيَّة مرتبة عظيمة بين النبوة والشهادة.

---

(١) عباس محمود العقاد " عبقرية الصديق " دار الكتاب اللبناني ص ٢٢٥ ، ٢٢٦ بتصرف.

ومن القلائل في تاريخ المؤمنين الذي منَّ الله تعالى عليه بهذه المرتبة – من غير الأنبياء – السيدة مريم ﴿مَا المَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ﴾ [المائدة:٧٥]

صفات أبي بكر التي أبلغته منزلة الصديقية

ولقد بلغ الصدِّيق الأعظم أبو بكر ، الدرجة العليا في الصديقية؛ لنقاء فطرته وكمال بصيرته وموافقة هواه وميوله شرع الله فكان لا يبلغه عن النبي ﷺ شيء إلا ويقول : " لئن كان قال ذلك لقد صدق " قبل أن يسمعه منه ﷺ ولا يأمر النبي ﷺ إلا وهو ممتثل بل أول الممتثلين.

والصدق درجات ، والصادقون مراتب ؛ فالصدق في اليسر غيره فالعسر، والصدق في أوقات المحن والفتن غيره في أوقات الرخاء والأمن ، والصدق في القول غير الصدق في القول والعمل ، والصادقون مراتب : فالصدوق أكثر صدقاً من الصادق ، أما الصدِّيق فأعلى مراتب الصدق والصادقين ؛ فهو صدق في اليسر والعسر وفي الأمن وعند الفتن وفي القول والعمل وفي كل وقت وحين لذا لا عجب أن تلي مرتبة الصديقية درجة النبوة مباشرة وتفوق درجة الشهادة ﴿فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ﴾ [النساء:٦٩]

وتلقيب أبي بكر بالصديق أمر ثابت مجمع عليه لا شك فيه، فقد روى البخاري عن أنس بن مالك . أنَّ النَّبيَّ ﷺ صعِدَ أحدًا ، فتبعَهُ أبو بَكْرٍ ، وعمرُ ، وعثمانُ فرَجفَ بِهِم فضربَهُ نبيُّ اللَّهِ ﷺ برجلِهِ : اثبُتْ أُحُدُ فإنَّما عَلَيكَ نبيٌّ وصدِّيقٌ وشَهيدانِ " [البخاري]

ففي هذا الحديث وصف من النبي ﷺ لأبي بكر بالصديقية.

قال النووي : " وأجمعت الأئمة على تسميته صديقًا. قال على بن أبي طالب : إن الله تعالى هو الذي سمَّى أبا بكر على لسان رسول الله ﷺ

صديقًا، وسبب تسميته أنه بادر إلى تصديق رسول الله ﷺ ولازم الصدق، فلم يقع منه هناة ولا وقفة في حال من الأحوال " .

والسيدة عائشة تحدِّد متى لُقِّب أبو بكر بهذا اللقب العظيم فتذكر إنه لُقِّب به صباح ليلة الإسراء أي في العام الأول أو الثاني قبل الهجرة وقت محنة المسلمين وشدة ابتلاءهم .

عن السيدة عائشة قالت : " لما أُسرِيَ بالنبيِّ ﷺ إلى المسجدِ الأقْصى، أصبح يتحدَّثُ الناسُ بذلك ، فارتدَّ ناسٌ ممن كانوا آمنوا به ، وصدَّقوه ، وسَعَوْا بذلك إلى أبي بكرٍ ، فقالوا : هل لك إلى صاحبِك يزعم أنه أُسرِيَ به الليلةَ إلى بيتِ المقدسِ ؟ قال : أو قال ذلك ؟ قالوا : نعم ، قال : لئنْ كَانَ قَالَ ذَلكَ لَقَدْ صدَقَ ، قَالوا : أو تُصَدِّقُه أنه ذَهَبَ الليلةَ إلى بيتِ المَقْدِسِ وَجَاءَ قَبْلَ أَنْ يُصبِحَ ؟ قَالَ : نَعَمْ إني لَأُصَدِّقُهُ فِيمَا هُوَ أَبْعَدُ مِنْ ذَلكَ ، أُصَدِّقُه بِخَبَرِ السَّمَاءِ في غُدُوِّه أو رَوْحِه ، فَلِذَلِكَ سُمِّي أَبُو بَكْر الصِّديقَ " [صححه الألباني]

صدَّق أبو بكر خبر إسراء النبي ﷺ في وقت محنة وبلاء وفي أمر لا تكاد تدركه عقول البشر بل لم يكتف بذلك إنما ساق الدليل القطعي على صدق الإيمان وهو أنه يصدِّق برسالة النبي ﷺ وبوحي الله تعالى إليه.

الفرق بين أبي بكر وعمر

كان لأبي بكر وعمر وضع خاص في تاريخ الإسلام والمسلمين لم يبلغه غيرهما ، ولكن تُرى ما الفرق بين هذين العظيمين .

إن لهذين العظيمين مزّية خاصة عن بقية الصحابة، حتى الصحابة أنفسهم كانوا يدركون ذلك، قال علي بن أبي طالب : لأني كثيراً ما

كنت أسمع رسول الله ﷺ يقول : كنت وأبو بكر وعمر، وفعلت وأبو بكر وعمر، وانطلقت وأبو بكر وعمر.

وعن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال " بَيْنَما رَجُلٌ رَاكِبٌ على بَقَرَة التَفَتَتْ إلَيْهِ فَقالَتْ إنِّي لَمْ أُخْلَقْ لِهَذا إنَّما خُلِقْتُ لِلْحَرْثِ فإنِّي أُؤمِنُ بِهَذَا أنا وأبو بَكْرٍ وَعُمَرُ وبَيْنَما رَجُلٌ في غَنَمِهِ إذْ عَدَا الذِّئْبُ فَذَهَبَ مِنْها بِشاةٍ فَطَلَبَهُ حَتَّى اسْتَنْقَذَها مِنْهُ فَقالَ لَهُ الذِّئْبُ هُنا اسْتَنْقَذْتَها مِنِّي فَمَنْ لَها يَوْمَ السَّبْعِ يَوْمَ لا رَاعِيَ لَها غَيْرِي فإنِّي أُؤمِنُ بِهَذَا أنا وأبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ "
[صحيح ابن حبان]

هو محمول على أنه ﷺ كان أخبرهما بذلك فصدَّقاه أو أطلق ذلك لما اطلَّع عليه من أنهما يصدقان بذلك إذا سمعاه ولا يترددان فيه .

والنبي ﷺ في هذا الحديث يستشهد بأبي بكر وعمر على الإيمان بخوارق الأمور التي لا يكاد يصدقها عقل .

ولقد تفرَّد أبو بكر وعمر بهذه الفضيلة ولم يشاركهما أحد فيها .

عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَنْطَبٍ قال : " إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ رَأَى أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ فَقَالَ هَذَانِ السَّمْعُ وَالْبَصَرُ " [صححه الألباني]

قال ابن القيم : " والتحقيق أن صفة البصر للصديق وصفة السمع للفاروق، ويظهر لك هذا من كون عمر محدَّثاً فعَنْ عَائِشَةَ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ : " قَدْ كَانَ يَكُونُ فِي الْأُمَمِ قَبْلَكُمْ مُحَدَّثُونَ فَإِنْ يَكُنْ فِي أُمَّتِي مِنْهُمْ أَحَدٌ فَإِنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ مِنْهُمْ " [صحيح مسلم] والتحديث المذكور هو ما يُلْقَى في القلب من الصواب والحق، وهذا طريقه السمع الباطن، وهو بمنزلة التحديث والإخبار في الأذن.

وأمّا الصدّيق فهو الذي كمّل مقام الصديقية لكمال بصيرته حتى كأنه قد باشر بصره مما أخبر به الرسول ﷺ ما باشر قلبه، فلم يبق بينه

وبين إدراك البصر إلاّ حجاب الغيب، فهو كأنه ينظر إلى ما أخبر به من الغيب من وراء ستوره ، وهذا لكمال البصيرة، وهذا أفضل مواهب العبد وأعظم كراماته التي يكرم بها وليس بعد درجة النبوة إلا هي ولهذا جعلها سبحانه بعدها فقال: ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء:٦٩] وهذا هو الذي سبق به الصديق لا بكثرة صوم ولا بكثرة صلاة . " (١)

درجات اليقين

وكلام ابن القيم كلام نفيس ، ودرجة الصديقية تعني وصول العبد إلى أعلى درجات اليقين وهو حق اليقين يقول ابن القيم : " مراتب اليقين وهي ثلاثة : حق اليقين وعلم اليقين وعين اليقين كما قال تعالى :

﴿كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ اليَقِينِ * لَتَرَوُنَّ الجَحِيمَ * ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ اليَقِينِ﴾[التكاثر : ٥- ٧] ﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ اليَقِينِ﴾ [الواقعة:٩٥] فهذه ثلاث مراتب لليقين أولها هو التصديق التام به بحيث لا يعرض له شك ولا شبهة تقدح في تصديقه كعلم اليقين بالجنة مثلاً وتيقنهم أنها دار المتقين ومقر المؤمنين فهذه مرتبة العلم كيقينهم أن الرسل أخبروا بها عن الله وتيقنهم صدق المُخْبِر .

(المرتبة الثانية) عين اليقين وهي مرتبة الرؤية والمشاهدة كما قال تعالى ﴿لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ اليَقِينِ﴾ وبين هذه المرتبة والتي قبلها فرق ما بين العلم والمشاهدة : فاليقين للسمع وعين اليقين للبصر وفي المسند للإمام أحمد مرفوعاً " ليس الخبر كالمعاين " وهذه المرتبة هي التي سألها

(١) ابن قيم جوزية " بدائع الفوائد " ج ١ ص ٨٠ .

إبراهيم الخليل ربه أن يريه كيف يحيي الموت ليحصل له مع علم اليقين عين اليقين فكان سؤاله زيادة لنفسه وطمأنينة لقلبه فيسكن القلب عند المعاينة ويطمئن لقطع المسافة التي بين الخبر والعيان وعلى هذه المسافة أطلق النبي ﷺ لفظ الشك حيث قال : " نحن أحق بالشك من إبراهيم " ومعاذ الله أن يكون هناك شك ولا من إبراهيم وإنما هو عين بعد علم وشهود بعد خبر ومعاينة بعد سماع .

(المرتبة الثالثة) مرتبة حق اليقين وهي مباشرة الشيء بالإحساس به كما إذا أدخلوا الجنة وتمتَّعوا بما فيها فهم في الدنيا في مرتبة علم اليقين وفي الموقف حين نزلف ونقرب منهم حتى يعاينوها في مرتبة عين اليقين وإذا دخلوها وباشروا نعيمها في مرتبة حق اليقين ومباشرة المعلوم تارة يكون بالحواس الظاهرة وتارة يكون بالقلب فلهذا قال ﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ اليَقِين﴾ فإن القلب يباشر الإيمان به ويخالطه كما يباشر بالحواس ما يتعلَّق بها فحينئذ يخالط بشاشته القلوب ويبقى لها حق اليقين وهذه أعلى مراتب الإيمان وهي الصديقية التي تتفاوت فيها مراتب المؤمنين .

وقد ضرب بعض العلماء للمراتب الثلاثة مثلاً فقال : إذ قال لك من تجزم بصدقه : عندي عسل أريد أن أطعمك منه فصدقته كان ذلك علم يقين فإذا أحضره بين يديك صار ذلك عين اليقين فإذا ذقته صار ذلك حق اليقين" (١)

فحق اليقين فيه يباشر القلب ما يؤمن به ويخالطه كما يباشر بالحواس ما يتعلق بها وهذه أعلى مراتب الإيمان وهي الصديقية التي بلغها أبو بكر وفاق بها عمر وغيره .

(١) ابن قيم الجوزية " التبيان في أقسام القرآن " ص ١١١ .

الفرق بين منزلة الصديقية والتحديث

ومتى استقر حق اليقين أو درجة الصديقية في القلب يُسَخِّر الجوارح كلها للانقياد لهذا اليقين حتى العقل لم يعد يناقش الأمر أو حتى يبحث في الحكمة من ورائه إنما صار العقل كالقلب يؤمن ويسلِّم ، أما درجة التحديث فهي أقل من هذه الدرجة فالمحدَّث عنده علم يقين أو عين يقين فهو مع إقراره التام بصدق ما جاء في الكتاب والسنة فإنه يُعْمِل فيه العقل ويتدبره ويعرف الحكمة منه ويبحث عن الوسيلة المناسبة لتنفيذه ، فالصدِّيق يسارع بتنفيذ الأمر الإلهي بما شرح الله صدره له ، أما المحدَّث فيتدبَّر ثم ينفذ ، والأول يلهمه الله الحق عن طريق القلب والثاني يلهمه الحق عن طريق العقل والإسلام يحتاج إلى الصدِّيق والمحدَّث . فهو اختلاف تنوع وليس اختلاف تضاد .

الصدّيق والسلفية الحرفية

ولا يعني هذا أن الصديقية تعني التمسك الحرفي بنصوص الدين كما يفعل بعض السلفية فأبو بكر مثلاً كان يسترخي إزاره أسفل الكعبين مع كثرة النصوص التي تحرِّم ذلك ، لأنه يعلم بصدق يقينه أن المقصود بالتحريم ما كان على سبيل الخيلاء ومع ذلك عرض الأمر على النبي ﷺ قَالَ ﷺ : " مَنْ جَرَّ ثَوْبَهُ خُيَلَاءَ لَمْ يَنْظُرْ اللَّهُ إِلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ قَالَ أَبُو بَكْرٍ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ أَحَدَ شِقَّيْ إِزَارِي يَسْتَرْخِي إِلَّا أَنْ أَتَعَاهَدَ ذَلِكَ مِنْهُ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ لَسْتَ مِمَّنْ يَصْنَعُهُ خُيَلَاءَ " [متفق عليه]

يقول ابن بطال : " وفى حديث أبى بكر بيان أن سقط ثوبه بغير قصده وفعله ولم يقصد بذلك الخيلاء فإنه لا حرج عليه في ذلك ، لقوله ﷺ لأبى بكر : " لَسْتَ مِمَّنْ يَصْنَعُهُ خُيَلَاءَ " ألا ترى أن النبي ﷺ جر

ثوبه حين استعجل المسير إلى صلاة الخسوف ، وهو مبين لأمته بقوله وفعله " (١)

أمثلة على الفرق بين الصديقية والتحديث

ويتضح الفرق بين درجتي الصديقية والتحديث في إسلام كل من أبي بكر وعمر ، فأبو بكر خالط الإيمان قلبه من أول لحظة دعاه النبي ﷺ إلى الإسلام فلم يتردد ولم يناقش ولم يجادل ولم يتروَّ ، ولم يفكر في عواقب إيمانه على نفسه أو على أهله ، بخلاف عمر بن الخطاب الذي لم يؤمن إلا بعد تدبُّر وتحقُّق واقتناع بل بعد إنكار وعداء للدين يقول النبي ﷺ : " مَا أَحَدٌ عَرَضْتُ عَلَيْهِ الْإِسْلَامَ ؛ إِلَّا كَانَتْ لَهُ كَبْوَةٌ ؛ غَيْرَ أَبِي بَكْرٍ ، فَإِنَّهُ لَمْ يَتَلَعْثَمْ "

وَالْكَبْوَةُ : أَنْ يَقِفَ سَاعَةً حَتَّى يَنْظُرَ فِي أَمْرِهِ ، وَأَبُو بَكْرٍ لَمَّا قَالَ لَهُ ﷺ : " إِنِّي نَبِيٌّ " ؛ قَالَ لَهُ : صَدَقْتَ ؛ مُجَاوَبَةً لِقَوْلِهِ ، وَلَمْ يَقِفْ سَاعَةً وَاحِدَةً ، وَهُوَ قَوْلُهُ : " لَمْ يَتَلَعْثَمْ " ؛ أَيْ لَمْ يَقِفْ " .

ويظهر ذلك أيضاً في موقف أبي بكر وعمر من دعوة النبي ﷺ للتصدُّق فجاء أبو بكر سريعاً بكلِّ ماله ولم يفكِّر في أمر أهله ماذا يبقي لهم فهو على يقين جازم أن الله لن يضيعهم ، ولم يفكِّر في إنه يفعل ذلك منافسة لغيره من المؤمنين في الخير إنما فعله بمقتضى صديقيته ، أما عمر فتدبَّر الأمر أولاً ، وذكر أبا بكر وفكَّر في منافسته وأن ظروفه مواتيه فلديه مال وفير ، ثم قرَّر أن يقسِّم ماله نصفين نصف لله ونصف لأهله وهو على يقين أنه سيسبق أبا بكر هذه المرة .

عن عمر بن الخطاب قال: " أَمَرَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ نَتَصَدَّقَ فَوَافَقَ ذَلِكَ عِنْدِي مَالًا فَقُلْتُ الْيَوْمَ أَسْبِقُ أَبَا بَكْرٍ إِنْ سَبَقْتُهُ يَوْمًا قَالَ فَجِئْتُ

(١) ابن بطال " شرح صحيح البخاري " ج ٩ ص ٧٨ .

بِنِصْفِ مَالِي فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَا أَبْقَيْتَ لِأَهْلِكَ قُلْتُ مِثْلَهُ وَأَتَى أَبُو بَكْرٍ بِكُلِّ مَا عِنْدَهُ فَقَالَ يَا أَبَا بَكْرٍ مَا أَبْقَيْتَ لِأَهْلِكَ قَالَ أَبْقَيْتُ لَهُمْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ قُلْتُ وَاللَّهِ لَا أَسْبِقُهُ إِلَى شَيْءٍ أَبَدًا " [صحيح أبي داود]

قال ابن تيمية معلِّقاً على هذا الحديث: فكان ما فعله عمر من المنافسة والغبطة المباحة، لكن حال الصديق أفضل منه، وهو أنه خال من المنافسة مطلقاً لا ينظر إلى حال غيره .

وفي صلح الحديبية " قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ فَأَتَيْتُ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ فَقُلْتُ أَلَسْتَ نَبِيَّ اللَّهِ حَقًّا قَالَ بَلَى قُلْتُ أَلَسْنَا عَلَى الْحَقِّ وَعَدُوُّنَا عَلَى الْبَاطِلِ قَالَ بَلَى قُلْتُ فَلِمَ نُعْطِي الدَّنِيَّةَ فِي دِينِنَا إِذًا قَالَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ وَلَسْتُ أَعْصِيهِ وَهُوَ نَاصِرِي قُلْتُ أَوَلَيْسَ كُنْتَ تُحَدِّثُنَا أَنَّا سَنَأْتِي الْبَيْتَ فَنَطُوفُ بِهِ قَالَ بَلَى فَأَخْبَرْتُكَ أَنَّا نَأْتِيهِ الْعَامَ قَالَ قُلْتُ لَا قَالَ فَإِنَّكَ آتِيهِ وَمُطَوَّفٌ بِهِ قَالَ فَأَتَيْتُ أَبَا بَكْرٍ فَقُلْتُ يَا أَبَا بَكْرٍ أَلَيْسَ هَذَا نَبِيَّ اللَّهِ حَقًّا قَالَ بَلَى قُلْتُ أَلَسْنَا عَلَى الْحَقِّ وَعَدُوُّنَا عَلَى الْبَاطِلِ قَالَ بَلَى قُلْتُ فَلِمَ نُعْطِي الدَّنِيَّةَ فِي دِينِنَا إِذًا قَالَ أَيُّهَا الرَّجُلُ إِنَّهُ لَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَلَيْسَ يَعْصِي رَبَّهُ وَهُوَ نَاصِرُهُ فَاسْتَمْسِكْ بِغَرْزِهِ فَوَاللَّهِ إِنَّهُ عَلَى الْحَقِّ قُلْتُ أَلَيْسَ كَانَ يُحَدِّثُنَا أَنَّا سَنَأْتِي الْبَيْتَ وَنَطُوفُ بِهِ قَالَ بَلَى أَفَأَخْبَرَكَ أَنَّكَ تَأْتِيهِ الْعَامَ قُلْتُ لَا قَالَ فَإِنَّكَ آتِيهِ وَمُطَوَّفٌ بِهِ " [متفق عليه]

أرأيت كيف سلَّم أبو بكر بما فعل النبي ﷺ ولم يناقش ولم يجادل ولم يراجع النبي ﷺ بينما عمر ناقش وجادل وسأل وراجع .

وفي حروب الردة يظهر الفرق بين الصديقية والتحديث جليّاً فأبو بكر نظر إلى وجوب اتباع المسلمين تعاليم الإسلام كما كانوا على عهد الرسول ﷺ حتى ولو اضطر إلى قتالهم ليستقيم أمر الدين ولو ضحَّى بنفسه في سبيل ذلك ، أما عمر تدبَّر الأمر ورأى عدم مقاتلة المسلمين خاصة أن عددهم كبير ، ولا قِبَل للمؤمنين بقتالهم .

قال أبو بكر : " والله! لو منعوني عِقالاً كانوا يؤدونه إلى رسول الله لقاتلتهم عليه " فيقف عمر أمامه : يا أبا بكر أتقاتل قوماً يشهدون أن لا إله الله، وقد قال ﷺ : " أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله، محمد رسول الله؟! " فقال أبو بكر : " يا عمر أجبَّار في الجاهلية خوار في الإسلام؟! ألم يقل رسول الله ﷺ : " إلا بحقها؟ " إن الزكاة من حقها، والله! لأقاتلن من فرق بين الزكاة والصلاة، فشرح الله صدر عمر إلى ما ذهب إليه أبو بكر ".

سلَّم أبو بكر وأخذ القرار أما عمر فناقش وجادل حتى اقتنع ثم وافق وأيَّد .

فتحرك جيش الصديق، لقتال المرتدين، فاهتزت جزيرة العرب لهذا الحادث الجلل، فكاد أن ينفرط عقد الإسلام، فثبته الله جل وتعالى بالصدِّيق وعاد إلى دائرة الإسلام من كان قد خرج منه بفضل الله، ثم بهذه الوقفة الصديقية في وجه تيار الردة، الذي أوشك أن تعم بلواه أطراف الجزيرة، وربما كانت ستأخذ صوراً أخرى غير صورة منع دفع الزكاة.

أبو بكر عندما يرى الأمر الإلهي يسارع بتنفيذه فوراً دون توان بل دون تدبر لعواقب الأمر .. توكل مطلق في أن الله لن يخزيه أبداً .

روى مسلم في صحيحه عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ صَائِمًا ؟ قَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَنَا، قَالَ: فَمَنْ تَبِعَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ جَنَازَةً ؟ قَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَنَا، قَالَ: فَمَنْ أَطْعَمَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ مِسْكِينًا ؟ قَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَنَا، قَالَ فَمَنْ عَادَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ مَرِيضًا ؟ قَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَنَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : مَا اجْتَمَعْنَ فِي امْرِئٍ إِلَّا دَخَلَ الْجَنَّةَ ".

فهذا يوم واحد في حياة الصدّيق، أصبح صائماً وتبع جنازة مسلم حتى دفنت وأطعم أحد فقراء المسلمين وزار أخاً له كان مريضاً، كل هذه الأعمال يعملها في يوم واحد وغيرها .

الرد على العقاد

نعود إلى بعض الشواهد التي استدلَّ بها العقاد على حدة مزاج أبي بكر الصديق .

عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ قَالَ : " كُنْتُ جَالِسًا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ إِذْ أَقْبَلَ أَبُو بَكْرٍ آخِذًا بِطَرَفِ ثَوْبِهِ حَتَّى أَبْدَى عَنْ رُكْبَتِهِ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : " أَمَّا صَاحِبُكُمْ فَقَدْ غَامَرَ ، فَسَلَّمَ وَقَالَ: إِنِّي كَانَ بَيْنِي وَبَيْنَ ابْنِ الْخَطَّابِ شَيْءٌ فَأَسْرَعْتُ إِلَيْهِ ثُمَّ نَدِمْتُ فَسَأَلْتُهُ أَنْ يَغْفِرَ لِي فَأَبَى عَلَيَّ، فَأَقْبَلْتُ إِلَيْكَ فَقَالَ: يَغْفِرُ اللَّهُ لَكَ يَا أَبَا بَكْرٍ ثَلَاثًا، ثُمَّ إِنَّ عُمَرَ نَدِمَ، فَأَتَى مَنْزِلَ أَبِي بَكْرٍ فَسَأَلَ أَثَمَّ أَبُو بَكْرٍ فَقَالُوا: لا. فَأَتَى إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَسَلَّمَ فَجَعَلَ وَجْهُ النَّبِيِّ ﷺ يَتَمَعَّرُ حَتَّى أَشْفَقَ أَبُو بَكْرٍ، فَجَثَا عَلَى رُكْبَتَيْهِ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَاللَّهِ أَنَا كُنْتُ أَظْلَمَ مَرَّتَيْنِ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : إِنَّ اللَّهَ بَعَثَنِي إِلَيْكُمْ فَقُلْتُمْ كَذَبْتَ وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: صَدَقَ وَوَاسَانِي بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ، فَهَلْ أَنْتُمْ تَارِكُوا لِي صَاحِبِي مَرَّتَيْنِ، فَمَا أُوذِيَ بَعْدَهَا " [صحيح البخاري]

وأبو بكر غير معصوم ارتكب خطأ يسيراً في حق عمر بن الخطاب، ولكنه لم يصر عليه وسارع بالندم والاعتذار ، ولكن عمر لم يقبل عذره فسارع أبو بكر إلى النبي ﷺ يجري وقد شمَّر ثيابه حتى لا تعوقه عن الجري حتى بدت ركبته ، ولم يذهب إلى النبي ﷺ لينصره على عمر أو حتى ليحكم بينه وبين عمر إنما ليعترف له بخطئه وندمه ويرجوه أن يتوسَّط بينه وبين عمر ليقبل عذره لأنه لا يطيق صبراً على خطأ يسير ارتكبه ، وعندما أحس أبو بكر إشفاق النبي ﷺ عليه وحزنه لحاله جثا على ركبته وراح يؤكد للنبي ﷺ إنه هو المخطئ بل يصف نفسه بأنه ظلم عمر مرتين كل هذا حتى يزيل إشفاق النبي ﷺ عليه وتأثره بحاله ، أهذا رجل عصبي المزاج كما وصفه العقاد أم أنه رجل رقيق القلب

طاهر النفس شديد الحب للحق ولله ورسوله ، لا يرضى أن يغضب منه أحد ويفعل كل ما في وسعه ليسترضيه .

وأنه رجل عظيم في نفسه وليس مفتونا بالعظمة في غيره ؛ لذا استحقَّ كلام النبي ﷺ عنه وإظهاره لقدره ومكانته في الإسلام التي لم يبلغها غيره .

الموقف الثاني الذي يستشهد به العقاد على حدة مزاج أبي بكر .

عَنْ رَبِيعَةَ بْنِ كَعْبٍ الأَسْلَمِيِّ ، قَالَ : أَعْطَانِي رَسُولُ اللهِ ﷺ أَرْضًا وَأَعْطَى أَبَا بَكْرٍ أَرْضًا ، قَالَ : " فَاخْتَلَفْنَا فِي عِذْقٍ يَعْنِي نَخْلَةً ، فَقُلْتُ : إِنَّمَا هِيَ مِنْ أَرْضِي ، وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ : هِيَ مِنْ أَرْضِي فَقُلْتُ : يَا أَبَا بَكْرٍ ، أَمَا تَرَى انْظُرُ ، أَمَا تَرَى أَنَّهَا مِنْ أَرْضِي فَأَبَى ، وَقَالَ كَلِمَةً نَدِمَ عَلَيْهَا ، فَقَالَ لِي : يَا رَبِيعَةُ ، قُلْ لِي مِثْلَ مَا قُلْتُ لَكَ حَتَّى يَكُونَ قِصَاصًا ، قَالَ : قُلْتُ : لاَ ... فَانْطَلَقْتُ وَقَدْ سَبَقَ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَصَّ عَلَيْهِ ، فَلَمَّا جِئْتُ قَالَ لِي : يَا رَبِيعَةُ ، مَالَكَ وَالصِّدِّيقِ ؟ قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللهِ ، قَالَ لِي شَيْئًا ، وَقَالَ لِي : قُلْ لِي مِثْلَ مَا قُلْتُ لَكَ حَتَّى يَكُونَ قِصَاصًا ، فَقُلْتُ : لاَ أَقُولُ لَكَ مِثْلَ مَا قُلْتَ لِي ، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : أَجَلْ قَالَ : فَلاَ تَقُلْ لَهُ مِثْلَ مَا قَالَ لَكَ وَلَكِنْ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكَ يَا أَبَا بَكْرٍ فَقُلْتُ : يَغْفِرُ اللَّهُ لَكَ يَا أَبَا بَكْرٍ ، يَغْفِرُ اللَّهُ لَكَ يَا أَبَا بَكْرٍ فَوَلَّى أَبُو بَكْرٍ ، وَهُوَ يَبْكِي"

ترى لماذا بكى أبو بكر ؟!

إنه بكى من شدة حب النبي ﷺ له وعدم سماحه بالقصاص منه .. بكى أبو بكر ندماً على ما فعل وتمنَّى ألا يكون قد ارتكب هذا الخطأ وألا يقف هذا الموقف المحرج أمام أحب الناس إليه ﷺ ، ولولا شدة حبه للحق ورغبته في التكفير عن الخطأ الذي ارتكبه في حق ربيعة ،

ورفض ربيعة أن يقتص منه مما اضطر أبو بكر إلى الذهاب إلى النبي ﷺ لكي يطهره من خطئه في حينه ، وربما لو كان أبو بكر صبر يوماً أو بعض يوم حتى هدأت ثورة ربيعه واعتذر له لقبل عذره لكن الصدِّيق لم ينتظر لحظة على خطأ دون قصاص مع أن الأمر يسير لا يستحق هذا لكنه الصدِّيق .

قال الحافظ ابن حجر بعد أن ذكر حديث ربيعة: وفي الحديث من الفوائد: فضل أبي بكر على جميع الصحابة، وأن الفاضل لا ينبغي له أن يغاضب من هو أفضل منه، وفيه ما طبع عليه الإنسان من البشرية حتى يحمله الغضب على ارتكاب خلاف الأولى، لكن الفاضل في الدين يسرع الرجوع إلى الأولى كقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾ [الأعراف:٢٠١] وفيه أن غير النبي ﷺ ولو بلغ من الفضل الغاية ليس بمعصوم ."

ويستدرك العقاد على رأيه في حِدَّة أبي بكر فيقول : " وهكذا نعلم أين تبدر الحدَّة ، وأين تبدر الصرامة من خَلِيقَة أبي بكر المسالم والوديع ، فحيثما روى راوٍ أنه احتدَّ أو اشتدَّ فلنعلم عن يقين أن في الأمر شيئاً يمس التصديق والإيمان ، أو يمس المروءة والوقار ، فلا تأتي الحدَّة أو الشدَّة يومئذ في غير موضعها من الطبيعة التي ولد بها ومَرُن عليها" (١)

وذكر العقاد أن سبب إيمان أبي بكر بالنبي إعجاب بعظمته الشخصية : " فالرجل المعجب بالبطولة يعرف بطله ، ثم يثق به ، ثم يرتقي بالثقة إلى ما فوقها وما هو أمكن منها " (٢)

والنبي ﷺ مع كمال خَلْقِه وخُلُقه لم يكن معروفاً بالبطولة ولا العظمة في قريش تلك العظمة التي تتمثل في عرفهم أول ما تتمثل في كثرة

(١) عباس محمود العقاد " عبقرية الصديق " دار الكتاب اللبناني ص ٢١٩.
(٢) نفسه ص ٢٧١.

المال والجاه والسلطان وفي الحسب والنسب ، ولم يروا محمداً ﷺ أهلاً لهذه العظمة مثل : الوليد بن المغيرة أو عتبة بن ربيعة أو أبو سفيان بن حرب أو عمرو بن هشام من أهل مكة أو حبيب بن عمرو بن عمير أو ابن عبد ياليل أو عروة بن مسعود من أهل الطائف ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا القُرْءانُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ القَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾ [الزُّخرف:٣١]

فلم يكن النبي ﷺ عظيماً بعرفهم فلو كان أبو بكر من المفتونين بعظماء قومه كان قد فتن بهؤلاء أو غيرهم من أساطين الكفر والطغيان في مكة والطائف ، ولم يفتن باليتيم الفقير ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى* وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى * وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى﴾ [الضُّحى: ٦-٨] .

ويؤكد العقاد هذا المعنى فيقول : " فكان الثائرون في وجه الدعوة المحمدية من مشركي قريش بين رجل من ثلاثة لا يعدوهم إلى رابع : رجل صاحب سيادة تتصل سيادته ببقاء الأمور على ما هي عليه ، ورجل من الأذناب الذين لا يعقلون ولا يحسون الظلم والفساد ولا يفعلون إلا ما يأمرهم به السادة المسيطرون ، ورجل لم يصغ إلى الدعوة الجديدة حق الإصغاء ، ولم يتسع له الوقت للتفرقة بينها وبين العرف القديم " (١)

وفي كلام العقاد نظر فالثائرون في وجه الدعوة المحمدية من مشركي قريش أولهم الحاسدون للنبي ولقبيلته على ما أتاهم الله من فضله ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ أَنْ يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْزَلَ اللهُ عَلَيْكَ الكِتَابَ وَالحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ [النساء:١١٣]

(١) عباس محمود العقاد " عبقرية الصديق " دار الكتاب اللبناني ص ٢٧٤.

فالثائرون في وجه الدعوة المحمدية من مشركي قريش ومن أهل الكتاب كان بسبب الحسد لصاحب الرسالة لذا جحدوا الدين رغم يقينهم بصدق صاحبها ودعوته ولذا يقول الله تعالى ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللهِ يَجْحَدُونَ﴾ [الأنعام:٣٣]

وقد لقي النبي ﷺ أبا جهل فصافحه فقال له رجل ألا أراك تصافح هذا الصابئ فقال : والله إني لأعلم أنه لنبي ولكن متى كنا لبني عبد مناف تبعاً "

﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة:١٠٩]

ويستدرك العقاد على وصفه أبا بكر بأنه معجب بالبطولة ، ومؤمن بالأبطال فيقول : " إنما البطولة التي أعجب بها أبو بكر هي البطولة التي ليس أشرف منها بطولة تعرفها النفس الإنسانية : هي بطولة الحق، وبطولة الخير ، وبطولة الاستقامة ، وهي بعد هذا ، وفوق كل هذا ، بطولة الفداء – يقبل عليها من أقبل وهو عالم بما سيلقاه من عنت الأقوياء والجهلاء .تلك هي بطولة محمد ." (١)

ثم يقترب العقاد مما ذهبنا إليه في مفتاح شخصية أبي بكر فيقول : " ولقد أجدى ذلك الخلق الكريم أكبر جدواه لأنه تهيأ له بسليقته ونشأته وتوشُّج تركيبه عليه .

فظهر منه في إيمان القلب ، ورويَّة العقل ، وفي السياسة العامة ، وفي السياسة الخاصة ، وما تشتمل عليه من أدب السلوك وعلاقة بالناس ." (٢)

---

(١) عباس محمود العقاد " عبقرية الصديق " دار الكتاب اللبناني ص ٢٣٢.
(٢) نفسه ص ٢٣٣.

لكن العقاد يعود بعدما قرَّر ذلك إلى رأيه الأول وهو فتنة أبي بكر ببطولة وعظمة صديقه محمد ﷺ فيقول : " فأبو بكر كان يعجب بمحمد النبي ، وعمر كان يعجب بالنبي محمد .

ونزيد القول إيضاحاً فنقول : إن حب أبي بكر لشخص محمد هو الذي هداه إلى الإيمان بنبوته وتصدي وحيه .

وإن اقتناع عمر بنبوة محمد هو الذي هداه إلى حبه والولاء له ولحرص على سنته ، وعلى رضاه .

ولهذا كان أبو بكر صاحباً آمن بصاحبه الذي يطمئن إليه ويحمد خصاله ، وكان عمر عدواً رده الاقتناع إلى مودة الرجل الذي كان ينكره ويعاديه .

ولهذا كان أبو بكر يطيع محمداً فيفهم القرآن ، وكان عمر يأخذ بالقرآن أو بما يفهم من مشيئة الله فيناقش محمداً حتى يثوب إلى الفهم الصحيح .

هما قريبان جِدَّ قريبين .

ولكنهما ليسا بشيء واحد على كل ما بينهما من اقتراب .

أو هما كما قلنا : أبو بكر أول المقتدين ، وعمر ثاني المجتهدين ، وبذلك يتكافآن ولا نقول يتفاضلان ." (١)

ونقول إن كلا الرجلين العظيمين : أبو بكر ، وعمر قد صدَّق نبوة رسول الله محمد ﷺ فأحبوه وأطاعوه ، ولم يعجب أبو بكر بشخص صديق فقاده هذا الإعجاب للإيمان كما قال العقاد !

إنما الفرق بين إيمان أبي بكر ، وإيمان عمر يَكْمُن في الوسيلة التي نهجها كل منهما للوصول للحق فأبو بكر كما قلنا ممن صَفَت فطرتهم

---

(٢) عباس محمود العقاد " عبقرية الصديق " دار الكتاب اللبناني ص ٢٤٩.

فرقَّت قلوبهم وزكت نفوسهم وكملت بصيرتهم وفطنتهم ، فلما بعث النبي ﷺ ودعاه للإيمان بدين الله دين الفطرة الصافية النقية سارع إلى الإيمان ولم يتردَّد فقد صادفت فطرة الدين فطرته ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللهِ ذَلِكَ الدِّينُ القَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الرُّوم:٣٠] وصار أبو بكر عبداً ربانياً يرى بنور الله ومن أهل ولايته ورعايته ومحط رحمته وهذا أقصى ما يتمناه المؤمن .

أما عمر فكان رجل عقل ودليل وبرهان ، ومن كانت هذه صفته فإنه يشك في كل جديد ويمتحنه ويدرسه حتى يصدِّق أو يكذِّب فإن بلغ تصديقه درجة اليقين آمن قلبه بعدما أيقن عقله .

ولما كان العقاد على شاكلة عمر رجل عقل ودليل وبرهان فقد انحاز لعمر ، وإن لم يعمد إلى الإساءة إلى أبي بكر بل إنه ساوي بين الرجل، والحق فإن أبا بكر مُقدَّم كما بينا .

***

ملامح الشخصية

اسمه ولقبه

اتفق أصحاب السير والمحقِّقون على أن اسمه عبد الله بن أبي قحافة، من قبيلة قريش، أمه أم الخير سلمى بنت صخر التيمية بنت عم أبيه .

ومن ألقابه العتيق واخْتُلِفَ في وقت تلقيبه به وفي سببه فقيل : لعتاقة وجهه ـ أي لجماله ـ وقيل لقدمه في الخير وقيل : لعتاقة نسبه ـ أي : طهارته إذ لم يكن في نسبه شيء يعاب به ـ وقيل : سمي به أولاً ثم سمي بعبد الله .

وعندما سئلت السيدة عائشة عن اسم أبي بكر قالت : اسم أبي بكر الذي سماه به أهله عبد الله ولكن النبي ﷺ سماه عتيقا "

وأخرج الحاكم وصححه عن السيدة عائشة قالت : والله إني لفي بيتي ذات يوم ورسول الله ﷺ وأصحابه في الفناء والستر بيني وبينهم إذ أقبل أبو بكر فقال النبي ﷺ : " من سره أن ينظر إلى عتيق من النار فلينظر إلى أبي بكر " .

أما الصديق فقيل : كان يلقب به في الجاهلية لما عرف منه من الصدق وقيل : لمبادرته إلى تصديق رسول الله ﷺ فيما كان يخبر به قال ابن إسحاق عن الحسن البصري وقتادة : وأول ما اشتهر به صبيحة الإسراء وأخرج الحاكم في المستدرك عن السيدة عائشة قالت :

جاء المشركون إلى أبي بكر فقالوا : هل لك إلى صاحبك ؟ يزعم أن أسري به الليلة إلى بيت المقدس قال : أو قال ذلك ؟ قالوا : نعم فقال : لقد صدق إني لأصدقه بأبعد من ذلك بخبر السماء غدوة و روحة فلذلك سمي الصديق "

و أخرج الحاكم في المستدرك عن النزال بن سبرة قال : قلنا لعلي بن أبي طالب : يا أمير المؤمنين أخبرنا عن أبي بكر قال : ذاك امرؤ سماه الله الصديق على لسان جبريل وعلى لسان محمد كان خليفة رسول الله ﷺ على الصلاة رضيه لديننا فرضيناه لدنيانا " [إسناده جيد]

مولده ونشأته

ولد أبو بكر بعد مولد النبي ﷺ بسنتين وأشهر فقد مات وله ثلاثة وستون سنة .

كان أنسب قريشاً لقريش وأعلم قريش بها وبما كان فيها من خير وشر وكان ذا خلق ومعروف يأتونه الرجال ويألفونه .

كان يعمل بالتجارة ويعد من أغنياء مكة المعروفين .

قال النووي عن أبي بكر: " كان من رؤساء قريش في الجاهلية وأهل مشاورتهم ومحببا فيهم وأعلم لمعالمهم فلما جاء الإسلام آثره على ما سواه ودخل فيه أكمل دخول . فهو أحد عشر من قريش اتصل بهم شرف الجاهلية والإسلام فكان إليه أمر الدِّيات والغُرْم وذلك أن قريشاً لم يكن لهم مَلِك ترجع الأمور كلها إليه بل كان في كل قبيلة ولاية عامة تكون لرئيسها فكانت في بني هاشم السقاية والرفادة ومعنى ذلك أنه لا يأكل ولا يشرب أحد إلا من طعامهم وشرابهم وكانت في بني عبد الدار: الحجابة واللواء والندوة . أي : لا يدخل البيت أحد إلا بإذنهم وإذا عقدت

قريش راية حرب عقدها لهم بنو عبد الدار وإذا اجتمعوا لأمر إبراماً أو نقضاً لا يكون اجتماعهم إلا بدار الندوة ولا ينفذ إلا بها وكانت لبني عبد الدار ."

صفاته الخلقيَة

عن السيدة عائشة أن رجلاً قال لها : صفي لنا أبا بكر .

فقالت : " كَانَ أَبْيَضَ نَحِيفًا ، خَفِيفَ الْعَارِضَيْنِ (خفيف شعر الخد)، أَجْنَأَ(الجَنَأ : مَيْلٌ في الظَّهر) ، لَا يَسْتَمْسِكُ إِزَارَهُ (الإزار ثوب يحيط بالنصف الأسفل من البدن) ، يَسْتَرْخِي عَنْ حِقْوَيْهِ (الحَقْو : الخَصْر ومَشَدُّ الإزار) ، مَقْرُونَ الْحَاجِبِ ، غَائِرَ الْعَيْنَيْنِ ، نَاتِئَ الْجَبْهَةِ (بارز)، عَارِيَ الْأَشَاجِعِ (وهي عروق ظاهر الكف)، مَعْرُوقَ الْوَجْهِ ، وَكَانَ يُخَضِّبُ بِالْحِنَّاءِ وَالْكَتَمِ ؛ (الكتم : نبت يخلط بالحناء ويصبغ به الشعر)"

وعلى ذلك يكون الوصف الشكلي الظاهر لأبي بكر رجل نحيل الجسم قليل اللحم ؛ يسقط ثوبه السفلي من خصره ، أبيض الوجه ، بارز الجبهة ، غائر العينين ، معروق الوجه واليدين ، خفيف شعر الخدين محني الظهر قليلاً ، يصبغ شعر رأسه ولحيته بالحناء .

وأخرج عن أنس قال : قدم رسول الله ﷺ المدينة وليس في أصحابه أشمط (شمط شعره اختلط سواده ببياضه) غير أبي بكر فلفها بالحناء والكتم " .

صفته الخُلقيَة

أما صفته الخُلُقيَّة فقد صحَّ عن السيدة عائشة قولها : " والله ما قال أبو بكر شعراً قط في جاهلية ولا إسلام ولقد ترك هو وعثمان شرب الخمر في الجاهلية " .

وعندما سُئل أبو بكر : هل شربت الخمر في الجاهلية ؟
قال : أعوذ بالله .
فقيل : ولم ؟
قال : كنت أصون عرضي وأحفظ مروءتي فإن من شرب الخمر كان مُضَيَّعاً في عرضه ومروءته قال : فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال : " صدق أبو بكر صدق أبو بكر مرتين " .

اختلف المحققون وأهل السير في أول من أسلم لذا سنتتبع الأمر منذ بدء الوحي حتى نقف على حقيقة أول من أسلم .

بدء الوحي

عَنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ أَنَّهَا قَالَتْ : " أَوَّلُ مَا بُدِئَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ الْوَحْيِ الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ فِي النَّوْمِ فَكَانَ لَا يَرَى رُؤْيَا إِلَّا جَاءَتْ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ ثُمَّ حُبِّبَ إِلَيْهِ الْخَلَاءُ وَكَانَ يَخْلُو بِغَارِ حِرَاءٍ فَيَتَحَنَّثُ فِيهِ وَهُوَ التَّعَبُّدُ اللَّيَالِيَ ذَوَاتِ الْعَدَدِ قَبْلَ أَنْ يَنْزِعَ إِلَى أَهْلِهِ وَيَتَزَوَّدُ لِذَلِكَ ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى خَدِيجَةَ فَيَتَزَوَّدُ لِمِثْلِهَا حَتَّى جَاءَهُ الْحَقُّ وَهُوَ فِي غَارِ حِرَاءٍ فَجَاءَهُ الْمَلَكُ فَقَالَ اقْرَأْ قَالَ مَا أَنَا بِقَارِئٍ قَالَ فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ اقْرَأْ قُلْتُ مَا أَنَا بِقَارِئٍ فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّانِيَةَ حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ اقْرَأْ فَقُلْتُ مَا أَنَا بِقَارِئٍ فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّالِثَةَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ : { اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ } فَرَجَعَ بِهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَرْجُفُ فُؤَادُهُ فَدَخَلَ عَلَى خَدِيجَةَ بِنْتِ خُوَيْلِدٍ فَقَالَ زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي فَزَمَّلُوهُ حَتَّى ذَهَبَ عَنْهُ الرَّوْعُ فَقَالَ لِخَدِيجَةَ وَأَخْبَرَهَا الْخَبَرَ لَقَدْ خَشِيتُ عَلَى نَفْسِي فَقَالَتْ خَدِيجَةُ كَلَّا وَاللَّهِ مَا يُخْزِيكَ اللَّهُ أَبَدًا إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ وَتَحْمِلُ الْكَلَّ وَتَكْسِبُ الْمَعْدُومَ وَتَقْرِي الضَّيْفَ وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ فَانْطَلَقَتْ بِهِ خَدِيجَةُ

حَتَّى أَتَتْ بِهِ وَرَقَةَ بْنَ نَوْفَلِ بْنِ أَسَدِ بْنِ عَبْدِ الْعُزَّى ابْنَ عَمِّ خَدِيجَةَ وَكَانَ امْرَأً قَدْ تَنَصَّرَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَكَانَ يَكْتُبُ الْكِتَابَ الْعِبْرَانِيَّ فَيَكْتُبُ مِنْ الْإِنْجِيلِ بِالْعِبْرَانِيَّةِ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَكْتُبَ وَكَانَ شَيْخًا كَبِيرًا قَدْ عَمِيَ فَقَالَتْ لَهُ خَدِيجَةُ يَا ابْنَ عَمِّ اسْمَعْ مِنْ ابْنِ أَخِيكَ فَقَالَ لَهُ وَرَقَةُ يَا ابْنَ أَخِي مَاذَا تَرَى فَأَخْبَرَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ خَبَرَ مَا رَأَى فَقَالَ لَهُ وَرَقَةُ هَذَا النَّامُوسُ الَّذِي نَزَّلَ اللَّهُ عَلَى مُوسَى يَا لَيْتَنِي فِيهَا جَذَعًا لَيْتَنِي أَكُونُ حَيًّا إِذْ يُخْرِجُكَ قَوْمُكَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَوَمُخْرِجِيَّ هُمْ قَالَ نَعَمْ لَمْ يَأْتِ رَجُلٌ قَطُّ بِمِثْلِ مَا جِئْتَ بِهِ إِلَّا عُودِيَ وَإِنْ يُدْرِكْنِي يَوْمُكَ أَنْصُرْكَ نَصْرًا مُؤَزَّرًا ثُمَّ لَمْ يَنْشَبْ وَرَقَةُ أَنْ تُوُفِّيَ وَفَتَرَ الْوَحْيُ " [متفق عليه]

تحقيق أول من أسلم

ووفقاً لهذا الحديث المتفق عليه فإن ورقة بن نوفل هو أول من آمن ؛ حيث إنه هو الذي بشَّر النبي ﷺ بالرسالة ووعده بالتأييد والنصرة .

وقول ورقة " يَا لَيْتَنِي فِيهَا جَذَعًا لَيْتَنِي أَكُونُ حَيًّا إِذْ يُخْرِجُكَ قَوْمُكَ " يؤكد صدق إيمانه وتمنيه التمكن من نصرة وتدعيم النبي ﷺ والدعوة بكل ما يستطيع .

" وَإِنْ يُدْرِكْنِي يَوْمُكَ أَنْصُرْكَ نَصْرًا مُؤَزَّرًا ثُمَّ لَمْ يَنْشَبْ وَرَقَةُ أَنْ تُوُفِّيَ " أي : توفي بعد هذه القصة بقليل رحمه الله ورضي عنه فإن مثل هذا الذي صدر عنه تصديق بما وجد وإيمان بما حصل من الوحي ونية صالحة للمستقبل .

وقد روى الإمام أحمد عن عائشة : أن خديجة سألت رسول الله ﷺ عن ورقة بن نوفل ؟ فقال : " قد رأيته فرأيت عليه ثياب بياض فأحسبه لو كان من أهل النار لم يكن عليه ثياب بياض " [حسنه الألباني]

وعن جابر بن عبد الله : أن رسول الله ﷺ سئل عن ورقة بن نوفل ؟ فقال : " قد رأيته فرأيت عليه ثياب بياض أبصرته في بطنان الجنة وعليه السندس "

وعن عائشة قالت : قال رسول الله ﷺ : " لا تسبوا ورقة فإني رأيت له جنة أو جنتين " [جيد الإسناد] (١)

وعلى ذلك يكون ورقة أول من أسلم ولكنه لم يلبث أن مات بعد بدء الوحي بقليل لذا لا يذكره أصحاب السير كأول من أسلم .

ثاني من أسلم

أما ثاني من أسلم فهي السيدة خديجة بلا شك وهي التي ذكرت من صفات النبي ﷺ قبل البعثة ما يقطع باستحالة تواني إسلامها ولا سيما أنها شهدت بنفسها قصة بدء الوحي ورأت من حال النبي ﷺ عند عودته من الغار ومن بشارة ورقة له بالرسالة .

قال ابن إسحاق: وآمنت خديجة بنت خويلد وصدقت بما جاءه من الله ووازرته على أمره ، وكانت أول من آمن بالله ورسوله، وصدقت بما جاء منه.

فخفَّف الله بذلك عن رسوله، لا يسمع شيئا يكرهه من رد عليه ، وتكذيب له فيحزنه ذلك، إلا فرج الله عنه بها، إذا رجع إليها تثبته وتخفف عنه، وتصدقه وتهون عليه أمر الناس " (٢)

عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا ذَكَرَ خَدِيجَةَ أَثْنَى [عَلَيْهَا] فَأَحْسَنَ الثَّنَاءَ، قَالَ: فَغِرْتُ يَوْمًا، فَقُلْتُ: مَا أَكْثَرَ مَا تَذْكُرُهَا حَمْرَاءَ الشِّدْقِين قَدْ

(١) ناصر الدين الألباني " صحيح السيرة النبوية " المكتبة الإسلامية عمان ص ٩٤
(٢) السيرة النبوية لابن كثير ص ٤٢٦

أَبْدَلَكَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ خَيْرًا مِنْهَا؟ قَالَ: مَا أَبْدَلَنِى اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ خَيْرًا مِنْهَا قَدْ آمَنَتْ بِى إِذْ كَفَرَ بِى النَّاسُ، وَصَدَّقَتْنِى إِذْ كَذَّبَنِى النَّاسُ، وَوَاسَتْنِى بِمَالِهَا إِذْ أَخْرَجَنِى النَّاسُ، وَرَزَقَنِى اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَلَدَهَا إِذْ حَرَمَنِى أَوْلاَدَ النِّاس." [صحيح أحمد]

ثالث من أسلم

أما ثالث من أسلم فهو علي بن أبي طالب بحكم وجوده في حِجْر النبي ﷺ ولقد تردد في البداية ثم سرعان ما شرح الله قلبه للإيمان يقول ابن إسحاق " ثم إن الله أوقع في قلب علىٍّ الإسلام، فأصبح غادياً إلى رسول الله ﷺ حتى جاءه فقال: ماذا عرضت على يا محمد ؟ فقال له رسول الله ﷺ : " تشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وتكفر باللات والعزى، وتبرأ من الأنداد " ففعل على وأسلم، ومكث يأتيه على خوف من أبى طالب، وكتم علىٌّ إسلامه ولم يظهره. " (١)

ثم يأتي إسلام زيد بن حارثة الذي كان يسمى حينئذ زيد بن محمد حيث تبناه النبي ﷺ ونسبه إليه ، كان زيد يعيش في بيت النبوة ومُطَّلع على أدقِّ أحواله ومحباً للنبي ومؤثراً على أبويه وأهله وقومه .

يقول ابن إسحاق : " وأسلم ابن حارثة، يعنى زيداً، فمكثا قريبا من شهر، يختلف علىَّ إلى رسول الله ﷺ وكان مما أنعم الله به على علىٍّ أنه كان في حِجْر رسول الله ﷺ قبل الإسلام. (٢)

إسلام أبي بكر

ثم يأتي إسلام أبي بكر صديق النبي ﷺ وأحب الناس إليه بعد أهله حينئذ .

---

(١) السيرة النبوية لابن كثير ص ٤٢٨

(٢) السيرة النبوية لابن كثير ص ٤٢٨

وبعد أن حقَّق ابن كثير الروايات التي ذكرت أول من أسلم قال : " والجمع بين الأقوال كلها : أن خديجة أول من أسلم من النساء، وظاهر السياقات – وقبل الرجال أيضاً – وأول من أسلم من الموالى زيد بن حارثة.

وأول من أسلم من الغلمان على بن أبى طالب، فإنه كان صغيراً دون البلوغ على المشهور، وهؤلاء كانوا إذا ذاك أهل البيت.

وأول من أسلم من الرجال الأحرار أبو بكر الصديق، وإسلامه كان أنفع من إسلام من تقدَّم ذكرهم إذ كان صدراً مُعظَّماً، ورئيساً في قريش مُكرَّماً، وصاحب مال، وداعية إلى الإسلام، وكان محببا مُتألِّفا يبذل المال في طاعة الله ورسوله. " (١)

لماذا اشتهر أن أبا بكر أول من أسلم ؟

ونظراً لأن إسلام أبي بكر كان أنفع للدعوة من إسلام من تقدَّم ذكرهم: ورقة بن نوفل ، وخديجة ، وعلى وزيد فإن كثيراً من الصحابة والتابعين قد صرَّح بأنه هو أوَّل من أسلم على هذا الأساس .

وبهذا تؤول كل الأحاديث والأقوال التي تنص على أن أبا بكر هو أو من أسلم مثل قول علي بن أبي طالب " أول من أسلم من الرجال أبو بكر " وقول زيد بن أرقم :" أول من صلى مع النبي ﷺ أبو بكر " .

وقول الشعبي : " سألت ابن عباس أي الناس كان أول إسلاماً ؟ قال: أبو بكر الصديق ألم تسمع قول حسان :

إذا تذكرت شجوا من أخي ثقة * فاذكر أخاك أبا بكر بما فعلا
خير البرية أتقاها وأعدلها * إلا النبي وأوفاها بما حملا
والثاني التالي المحمود مشهده * وأول الناس منهم صدق الرسلا

(١) السيرة النبوية لابن كثير ص ٤٣٢

كيف أسلم أبو بكر ؟

هذا عن تحقيق أول من أسلم أما عن قصة إسلام أبي بكر فيذكرها ابن إسحاق كالتالي : " إن أبا بكر الصديق لقي رسول الله ﷺ فقال: أحقٌّ ما تقول قريش يا محمد ؟ مِنْ تَرْكِكَ آلهَتَنا، وتَسْفِيهك عقولَنا، وتكفيرك آباءنا ؟ فقال رسول الله ﷺ " بلى، إني رسول الله ونبيه، بعثني لأبلغ رسالته وأدعوك إلى الله بالحق، فو الله إنه للحق، أدعوك يا أبا بكر إلى الله وحده لا شريك له، ولا تعبد غيره والموالاة على طاعته ".

وقرأ عليه القرآن، فلم يقر ولم ينكر.

فأسلم وكفر بالأصنام، وخلع الأنداد وأقر بحق الإسلام، ورجع أبو بكر وهو مؤمن مصدق."

وروى ابن إسحاق عن بن عبد الله بن الحصين التميمي، أن رسول الله ﷺ قال: " ما دعوت أحداً إلى الإسلام إلا كانت عنده كبوة وتردد ونظر، إلا أبا بكر، ما عكم عنه حين ذكرته، ولا تردد فيه ".

عكم: أي تلبث.

تعليق ابن كثير على رواية ابن إسحق

ويعلِّق ابن كثير على رواية ابن إسحاق فيقول : " وهذا الذي ذكره ابن اسحاق في قوله : " فلم يُقِرَّ ولم يُنْكِرْ " منكر، فإن ابن إسحاق وغيره ذكروا أنه كان صاحب رسول الله ﷺ قبل البعثة، وكان يعلم من صدقه وأمانته وحسن سجيته وكرم أخلاقه ما يمنعه من الكذب على الخلق فكيف يكذب على الله ؟ ولهذا بمجرد ما ذكر له أن الله أرسله بادر إلى تصديقه ولم يتلعثم، ولا عكم. (١)

(١) السيرة النبوية لابن كثير ص ٤٣٣

وقد ثبت في صحيح البخاري عن أبى الدرداء في حديث ما كان بين أبى بكر وعمر من الخصومة، وفيه: " فَقَالَ رَسُولُ اللَّـهِ ﷺ هَلْ أَنْتُمْ تَارِكُونَ لِي صَاحِبِي هَلْ أَنْتُمْ تَارِكُونَ لِي صَاحِبِي إِنِّي قُلْتُ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا فَقُلْتُمْ كَذَبْتَ وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ صَدَقْتَ " (١)

***

(٢) السيرة النبوية لابن كثير ص ٤٣٤

دعوته لسبيل الله

كان أبو بكر صديقاً مُقرَّباً للنبي ﷺ قبل إسلامه لذا كان أول من يعرض عليه الإسلام رغم أن الدعوة كانت سريَّة ، وبعد إسلام أبي بكر قوية العلاقة بين أبي بكر والنبي ﷺ فقد جعل أبو بكر نفسه في خدمة الإسلام ورسوله لذا قال العلماء : صحب أبو بكر النبي ﷺ منذ أسلم إلى حين توفي لم يفارقه سَفَراً ولا حَضَراً إلا فيما أذن له ﷺ في الخروج فيه من حج وغزو وشهد معه المشاهد كلها وهاجر معه وترك عياله وأولاده رغبة في الله ورسوله ﷺ وهو رفيقه في الغار قال تعالى : { ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللهَ مَعَنَا} [التوبة:٤٠]

وقام بنصر رسول الله ﷺ في غير موضع وله الآثار الجميلة في المشاهد وثبت يوم أحد ويوم حنين وقد فرَّ الناس .

أشهر من أسلم على يدي أبي بكر

رغم أن الدعوة إلى الإسلام كانت سريَّة خوفاً من عداء قريش للإسلام التي ظنت أن الدعوة إلى الدين الجديد خطر على مصالحها الاقتصادية والدينية والاجتماعية إلا أن أبا بكر انطلق يدعو الناس إلى الإسلام ، وكان رجلاً من وجهاء مكة وموضع ثقة واحترام أهلها ، وأكرمه الله تعالى بفضل قوة إيمانه وإخلاصه في الدعوة أن أسلم على يديه عدد من الصحابة منهم ستة من العشرة المبشرين بالجنة وهم:

١- عثمان بن عفان ، الخليفة الراشد الثالث .
٢- الزبير بن العوام .
٣- طلحة بن عبيد الله .
٤- سعد بن أبي وقاص .
٥- عبد الرحمن بن عوف .
٦- أبو عبيدة بن الجراح .

بالإضافة إلى الأرقم ابن أبي الأرقم ، وعثمان بن مظعون ، وأبو سلمة بن عبد الأسد وغيرهم .

ما أعظم هذا الرجل! كيف كان يؤثِّر بهذا القدر وبهذه الضخامة! لأنه كان صادقاً، ودائماً الصادق في عمله له تأثير وله خصوصية في فتح قلوب الناس، كلما كان الإنسان صادقاً يجعل الله في عمله بركة، ويضاعف له الثواب وهكذا كان أبو بكر وأرضاه.

ومن خلال هؤلاء الصحب الكرام الذين أسلموا على يد أبي بكر الصديق أخذ الإسلام ينتشر في مكة وفي خارج مكة ، ودخل في الإسلام أناس كثير من بطون قريش ومن مواليها خاصة، وأتباع الرسل دائماً من المستضعفين والموالي؛ لأنهم يجدون في الدين ما يعيد لهم شيئاً من حريتهم وكرامتهم وعزهم ، بخلاف أصحاب العظمة وأصحاب المال وأصحاب المكانة .

وممن اشتهروا بين السابقين في الإسلام من الموالي: بلال بن رباح وقد أسلم على يد أبي بكر ، وصهيب بن سنان ، وعمار بن ياسر ووالده ياسر وأمه سمية بنت خياط ، هؤلاء من الموالي الذين أسلموا في بداية الدعوة على النبي ﷺ وفي فترة وجيزة وصل عدد الذين سبقوا إلى الإسلام من بطون قريش إلى أكثر من خمسين نفراً في فترة يسيرة، مع

الحركة المنظمة المرتبة، التي كانت تحمل الإخلاص من قبل النبي ﷺ ومن قبل أبي بكر الصديق ، ومن قبل خديجة ، ومن قبل الصحابة الذين أسلموا في البداية، انتشر الإسلام قليلاً حتى أصبحوا أكثر من خمسين رجلاً.

أول خطيب في الإسلام

ولم يكتف أبو بكر بالدعوة السريَّة وبمن آمن على يديه إنما قرَّر أن يجهر بالدعوة رغم علمه اليقيني بمعاداة قريش لها وخطورة ذلك عليه تلك الخطورة التي قد تصل إلى القتل ، ولكن أبا بكر لم يفكِّر إلا في نشر الإسلام وإن استشهد في سبيل ذلك .

فذكرت السيدة عائشة إنه لما أسلم أبو بكر أظهر إسلامه ودعا إلى الله و إلى رسوله ﷺ .

وعندما بلغ عدد المسلمين تسعة وثلاثين رجلاً ، ألحَّ أبو بكر على الرسول ﷺ في الجهر بالدعوة وإعلانها على رءوس الأشهاد فقال الرسول : " يا أبا بكر إنّا قليل " فلم يزل يلحُّ حتى وافق الرسول ﷺ وتجمَّع المسلمون كل واحد في عشيرته ، وقام أبو بكر خطيباً ورسول الله جالس ،وكان أول خطيب دعا إلى الله عزّ وجل وإلى رسول الله ﷺ.

خطب أبو بكر ودعا إلى الإيمان بالله الواحد الأحد ، والإيمان برسوله ﷺ وترك عبادة الأصنام والأوثان دعوة صريحة جليَّة لا مداراة فيها ولا مجاملة .

وثار المشركون على أبي بكر وعلى المسلمين ، فضربوهم ضرباً شديداً ، وهجم على أبي بكر أحد زعماء الكفر في مكة وهو عُتْبة بن ربيعة وأخذ يضربه ضرباً مبرحاً على وجهه وعلى كل جسده ، حتى كاد

أن يهلك ، ولم ينقذه إلا قبيلته بنو تميم التي دافعت عنه عصبية لا إيماناً ، كما كان أبو طالب يدافع عن النبي ﷺ ويحميه عصبية لا إيماناً ، جاءت بنو تميم فأجلوا المشركين وأنقذوا أبا بكر ، وحملوه وهو بين الحياة والموت ، وأعادوه إلى بيته وقالوا : " والله لئن مات أبو بكر لنقتلن عُتبة بن ربيعة " وأخذوا يعالجون جراح أبي بكر وهم يكلمونه حتى أجابهم فتكلَّم آخر النهار ، وكان أوَّل ما قاله بعد أن أفاق : " ما فعل رسول الله ﷺ؟ " فسبَّه قومه وانصرفوا .

ولكنه لم يتوقف عن السؤال عن النبي ﷺ فسأل أمه " أم الخير " ما فعل رسول الله ﷺ ؟

قالت : والله ما لي علم بصاحبك .

قال : فاذهبي إلى أم جميل بنت الخطاب فاسأليها عنه .

فخرجت حتى جاءت أم جميل ، فقالت : إن أبا بكر يسألك عن محمد بن عبد الله ؟

قالت : ما أعرف أبا بكر ولا محمد بن عبد الله وإن تحبي أن أمضي معك إلى ابنك فعلت ؟

قالت : نعم .

فمضت معها حتى وجدت أبا بكر مصاباً ، فدنت أم جميل وأعلنت بالصياح وقالت : إنّ قوما نالوا منك هذا لأهل فسق ؟! وإنّي لأرجو أن ينتقم الله لك .

قال : فما فعل رسول الله ﷺ؟

قالت : هذه أمك تسمع ؟

قال : فلا عين عليك منها .

قالت : سالم صالح .

قال : فأين هو ؟

قالت : في دار الأرقم .

قال : فإن لله عليّ ألا أذوق طعاماً أو شراباً أو آتي رسول الله ﷺ فأمهلَتا حتى إذا هدأت الرِّجْل وسكن الناس خرجتا به يتكئ عليهما حتى دخل على رسول الله ﷺ فانكب عليه يقبله وانكبّ عليه المسلمون ورقّ رسول الله فقال أبو بكر : بأبي أنت وأمي ليس بي إلاّ ما نال الفاسق من وجهي ، وهذه أمي بَرّة بوالديها ، وأنت مبارك فادعها إلى الله ، وادع الله لها عسى أن يستنقذها بك من النار .

فدعا لها رسول الله ﷺ ثم دعاها إلى الله عزّ وجل ، فأسلمت فأقاموا مع رسول الله في الدار شهراً . (١)

وهذا الموقف يؤكد تفرُّد أبي بكر بدرجة الصديقيَّة من بداية الدعوة فالنبي ﷺ بالنسبة له أغلى من نفسه وحياته ﷺ .

لماذا كذَّب زعماء مكة الصادق الأمين ﷺ ؟

يقول العقاد : " يمنع الإنسان أن يصغي إلى دعوة العقائد الجديدة موانع شتى من آفات العقل والخلق والبيئة وتجتمع وتتفرق ، ويُبتلى الرجل الواحد بها جميعاً ، وقد يُبتلى بمانع واحد منها فيحول بينه وبين الإصغاء والإجابة .

يمنعه أن يجيب الدعوة إلى المصلحين غطرسة ، أو سيادة مُهدَّدة ، أو مصلحة في بقاء القديم ومحاربة الجديد ، أو ذهن مُغلَق لا يتفتح للفهم والتفكير ، أو مغامسة للشهوات تُحبِّب إليه أن يستتيم إلى العرف الذي يبيحها ويعزف عن الهداية التي تحظرها وتقف في سبيلها ، أو تعصب للعقيدة التي درج عليها ، أو شعور بقوة سلطان تلك العقيدة في

(١) راجع ابن عساكر " تاريخ دمشق " ج ٣٠ ص ٤٦ ، ٤٧

أبناء قومه ، أو جبن ينهاه أن يخرج على المألوف ويتصدى لسخط الساخطين وإن تبين طريق الاستقامة ، أو إيغال في الشيخوخة يصد الإنسان عن كل تغيير ويميل به إلى كل تواكل ومتابعة وتقليد ، أو حداثة سن تجعله تابعاً لغيره في الرأي والخليقة ، أو ذلَّة مطبوعة تلحقه بمن أذله وبسط سلطانه عليه .

فالغطرسة خلة تأبى على صاحبها أن يستمع إلى قول أو يصيخ إلى دعوة ، او يتنزل إلى متابعة إنسان ، ترفعاً عن الإصغاء قبل أن يهديه الإصغاء قبل أن يهديه الإصغاء إلى موافقة أو إنكار .

والسيادة المهددة توحي إلى صاحبها كراهة التجديد ، لأنه يحس بالبداهة أن صاحب الدعوة الجديد أولى بالسيادة إن شاع ما جدده بين الناس ، فتبطل سيادته ببطلان القديم الذي قامت عليه ، وقيام الجديد الذي نسخه وعفاه ... " [1]

فبالرغم من أن أبا بكر كان من عِلْيَة القوم ، وأصحاب المكانة والمال وهؤلاء يتردَّدون غالباً في قبول الدين؛ لأنه يساويهم بغيرهم ممن يرون أنهم دونهم ، وهم يريدون أن يمارسوا الطغيان والتسلط، والكبرياء والغطرسة على الضعفاء ، والدين يجعل الناس سواسية كأسنان المشط ولا تفاضل إلا بالتقوى .

قال تعالى : ﴿وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ كأنهم طلبوا منه أن يطرد المؤمنين عنه ﷺ احتشاماً ونفاسة منهم أن يجلسوا معهم، كما سأل أمثالهم خاتم الرسل ﷺ أن يطرد عنهم جماعة من الضعفاء ويجلس معهم مجلساً خاصاً، فأنزل الله تعالى: ﴿وَلا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ

(1) عباس محمود العقاد " عبقرية الصديق " دار الكتاب اللبناني ص ٢٦٢ ، ٢٦٣ .

بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ ﴾ [الأنعام: ٥٢] ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ ﴾ [الكهف: ٢٨]

وقد ذكر المفسرون في سبب نزول هذه الآية روايات منها : أنها نزلت في أشراف قريش ، حين طلبوا من النبي ﷺ أن يجلس معهم وحده، ولا يجالسهم مع ضعفاء أصحابه كبلال وعمار وابن مسعود . وليفرد أولئك بمجلس على حدة ، فنهاه الله تعالى عن ذلك . وأمره أن يصبر نفسه في الجلوس مع هؤلاء الفقراء .

ولقد ذكر القرآن الكريم أن صناديد الكفر في مكة كفروا بالله كبرا وليس لأنهم يكذبون الرسول ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللهِ يَجْحَدُونَ ﴾ [الأنعام:٣٣]

فأبو جهل وأبو لهب والعاص بن وائل وأمية بن خلف ، وعتبة وشيبة بني ربيعة وغيرهم لم يؤمنوا بسبب تكذيبهم للنبي ﷺ وعدم اقتناعهم بدعوته إنما حفاظاً على مكانتهم ومنزلتهم وعدم مساواتهم بغيرهم من الضعفاء والفقراء والعبيد ، والذي يدعوهم ليؤمنوا به رسولاً يرونه أقل منهم في العظمة والمكانة والقوة والغنى .

﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا القُرْءانُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ القَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴾

[الزُّخرف:٣١]

وواحد من هؤلاء العظماء أولي المكانة يؤمن بالله ورسوله بل يكون أول المؤمنين ، ويسخر نفسه وماله وأهله وكل عزيز عليه في سبيل نشر الإسلام ، بل يجعل حياته فداء للدعوة ولصاحبها هذه هي درجة الصديقية التي لا تفضلها منزلة إلا النبوة .

وأخرج ابن عساكر عن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق " كان يوم بدر مع المشركين فلما أسلم قال لأبيه لقد أهدفت لي يوم بدر فصرفت عنك ولم أقتلك فقال أبو بكر لكنك لو أهدفت لي لم أنصرف عنك " (١)

أنظر إلى هذا الإيمان الذي هو أغلى من ابنه قرة عينه ، ولو أن أبا بكر رأى ابنه عبد الرحمن في غزوة بدر لقتله .

***

(١) ابن عساكر " تاريخ دمشق " ج ٣٠ ص ١٢٨

شجاعته وجهاده

الفرق بين الشجاعة والقوة

في البداية لابد أن نفرق بين الشجاعة والقوة .

(ش ج ع) : شَجُعَ بِالضَّمِّ شَجَاعَةً قَوِيَ قَلْبُهُ وَاسْتَهَانَ بِالْحُرُوبِ جَرَاءَةً وَإِقْدَامًا فَهُوَ شَجِيعٌ وَشُجَاعٌ .

(القوة) ضِدّ الضَّعْفِ وَالطَّاقَةِ وَتُمَكِّن الحَيوَان مِنْ الأَعْمَالِ الشَّاقَةِ وَالمُؤَثِّر الذِي يُغَيِّر أوْ يَمِيل إلى تَغْيِير حَالَةِ سُكُونٍ وَمَبْعَث النَّشَاط والنُّمُو والحَرَكَة وتَنْقَسِم إلى طَبِيعِيَّة وَحَيويَّة وَعَقْلِيَّة كَمَا تَنْقَسِم إلَى بَاعِثَة وَفَاعِلَة .

فالقوة شدة في البدن تبعث على النشاط والنمو والحركة ، أما الشجاعة فشدة في القلب تبعث على الجرأة والإقدام عند البأس والمحن.

والقتال يحتاج إلى شجاعة القلب وقوة البدن ، والشجاعة إنما فضلها في الدين لأجل الجهاد في سبيل الله وإلا فالشجاعة إذا لم يستعن بها صاحبها على الجهاد في سبيل الله كانت إما وبالاً عليه إن استعان بها صاحبها على طاعة الشيطان، وإما غير نافعة له إن استعملها فيما لا يقربه إلى الله.

شجاعة النبي ﷺ

والشجاعة تكون بقدر اليقين ، واليقين في القلب فإذا قوي اليقين في القلب زادت الشجاعة لذا كان النبي ﷺ أشجع الناس باعتراف الصحابة

أنفسهم لأنه أرسخهم يقيناً فعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ : " كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَحْسَنَ النَّاسِ وَكَانَ أَجْوَدَ النَّاسِ وَكَانَ أَشْجَعَ النَّاسِ وَلَقَدْ فَزِعَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ ذَاتَ لَيْلَةٍ فَانْطَلَقَ نَاسٌ قِبَلَ الصَّوْتِ فَتَلَقَّاهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ رَاجِعًا وَقَدْ سَبَقَهُمْ إِلَى الصَّوْتِ وَهُوَ عَلَى فَرَسٍ لِأَبِي طَلْحَةَ عُرْيٍ فِي عُنُقِهِ السَّيْفُ وَهُوَ يَقُولُ لَمْ تُرَاعُوا لَمْ تُرَاعُوا قَالَ وَجَدْنَاهُ بَحْرًا أَوْ إِنَّهُ لَبَحْرٌ قَالَ وَكَانَ فَرَسًا يُبَطَّأُ " [متفق عليه]

عَنْ أَبِي إِسْحَقَ قَالَ : " جَاءَ رَجُلٌ إِلَى الْبَرَاءِ فَقَالَ أَكُنْتُمْ وَلَّيْتُمْ يَوْمَ حُنَيْنٍ يَا أَبَا عُمَارَةَ فَقَالَ أَشْهَدُ عَلَى نَبِيِّ اللَّهِ ﷺ مَا وَلَّى وَلَكِنَّهُ انْطَلَقَ أَخِفَّاءُ مِنْ النَّاسِ وَحُسَّرٌ إِلَى هَذَا الْحَيِّ مِنْ هَوَازِنَ وَهُمْ قَوْمٌ رُمَاةٌ فَرَمَوْهُمْ بِرِشْقٍ مِنْ نَبْلٍ كَأَنَّهَا رِجْلٌ مِنْ جَرَادٍ فَانْكَشَفُوا فَأَقْبَلَ الْقَوْمُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَأَبُو سُفْيَانَ بْنُ الْحَارِثِ يَقُودُ بِهِ بَغْلَتَهُ فَنَزَلَ وَدَعَا وَاسْتَنْصَرَ وَهُوَ يَقُولُ أَنَا النَّبِيُّ لَا كَذِبْ أَنَا ابْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبْ اللَّهُمَّ نَزِّلْ نَصْرَكَ قَالَ الْبَرَاءُ كُنَّا وَاللَّهِ إِذَا احْمَرَّ الْبَأْسُ نَتَّقِي بِهِ وَإِنَّ الشُّجَاعَ مِنَّا لَلَّذِي يُحَاذِي بِهِ يَعْنِي النَّبِيَّ ﷺ " [صحيح مسلم]

عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ، قَالَ : " كُنَّا إِذَا احْمَرَّ الْبَأْسُ (كناية عن شدة الحرب) ، وَلَقِيَ الْقَوْمُ الْقَوْمَ ، اتَّقَيْنَا (احتمينا) بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَمَا يَكُونُ أَحَدٌ أَقْرَبَ إِلَى الْعَدُوِّ مِنْهُ " [النسائي وأحمد]

وَعَنْ عَلِيٍّ ، قَالَ : " لَقَدْ رَأَيْتُنِي يَوْمَ بَدْرٍ ، وَنَحْنُ نَلُوذُ بِالنَّبِيِّ عَلَيْهِ السَّلامُ ، وَهُوَ أَقْرَبُنَا إِلَى الْعَدُوِّ ، وَكَانَ مِنْ أَشَدِّ النَّاسِ يَوْمَئِذٍ بَأْسًا "
[أخرجه أبو الشيخ في أخلاق النبي بإسناد جيد]

أشجع الناس بعد الرسول ﷺ

أما عن شجاعة أبي بكر الصديق فكان مبعثها يقين ثابت لا يمازجه شك ولا تخالطه ريبة فقد بلغ بصديقيته مرتبة حق اليقين ، ولما كانت

الشجاعة تنبع من يقين القلب لذا كان أبو بكر أشجع الناس لم يكن بعد رسول الله ﷺ أشجع منه، هو أشجع من عمر، وعمر أشجع من عثمان، وعلي وطلحة والزبير. وهذا يعرفه من يعرف سيرهم وأخبارهم؛ فإن أبا بكر باشر الأهوال التي كان يباشرها رسول الله ﷺ من أول الإسلام إلى آخره، ولم يجبن ولم يحرج، ولم يفشل. وكان يقدم في المخاوف يقي النبي ﷺ بنفسه، ويجاهد المشركين تارة بيده، وتارة بلسانه، وتارة بماله، وهو في ذلك كله مقدم.

يقول العقاد : " وكانت شجاعته كفاءة صدقه ووفائه بوعده : سواء منها شجاعة الرأي وشجاعة القتال ، فلما أسلم لم يبال أن يعلن إسلامه وأن يجهر بصلاته ودعائه ، يصيبه في ذلك ما يصيب ، ولما وجب القتال كان المقاتلين إلى رسول الله في كل غزوة وكل مأزق ومن مآزق الجلاد ، وانهزم كثير من الشجعان في بعض الملاحم الحازبة ، ولم تذكر له قط هزيمة في ساعة من ساعات الشدة ، ولا ثبت نفر قط حيث يصعب الثبات إلا كان هو بين أول الثابتين .

ولم تكن وقعة أشد على المسلمين من وقعتي أحد وحنين ، ولَّي فيهما من ولَّى واستشهد من استشهد وتردد في صفوف العسكريين أن رسول الله كان بين المستشهدين فذعر الشعيف وقال القوي : ما تصنعون بالحياة بعده ؟ فموتوا على ما مات عليه رسول الله .

ففي وقعة أحد – أشد هاتين الوقعتين – كان ابو بكر في طليعة الثابتين ، ونظر إلى حلقة من درع قد نشبت في جبين صديقه وصفيه ونبيه فشغله أن يصاب هذا المصاب ، وانكب عليها لينتزعها ، لولا أن أقسم عليه أبو عبيدة ليسبقنه هو إلى نزعها ، فجذبها بثَنيَّتيه (الثَّنِيَّة : إحدى الأسنان الأربع التي مقدَّم الفم) جذبا رقيقاً حتى نزعها وسقطت ثنيته ." (١)

(١) عباس محمود العقاد " عبقرية الصديق " دار الكتاب اللبناني ص ٢١٠ .

دفاع أبي بكر عن النبي ﷺ

هناك موافق كثيرة وقف أبو بكر بكل شجاعة يدافع فيها عن النبي ﷺ والدين بكل ما يملك وهو النحيف قليل اللحم الذي يسقط الإزار من خصره لكن في مواقف الحزم يتحول أبو بكر إلى أسد جسور .

فعُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ قَالَ سَأَلْتُ ابْنَ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ أَخْبِرْنِي بِأَشَدِّ شَيْءٍ صَنَعَهُ الْمُشْرِكُونَ بِالنَّبِيِّ ﷺ قَالَ بَيْنَا النَّبِيُّ ﷺ يُصَلِّي فِي حِجْرِ الْكَعْبَةِ إِذْ أَقْبَلَ عُقْبَةُ بْنُ أَبِي مُعَيْطٍ فَوَضَعَ ثَوْبَهُ فِي عُنُقِهِ فَخَنَقَهُ خَنْقًا شَدِيدًا فَأَقْبَلَ أَبُو بَكْرٍ حَتَّى أَخَذَ بِمَنْكِبِهِ وَدَفَعَهُ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ ﴿ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ ﴾ [صحيح البخاري]

لقد كان مبعث شجاعة أبي بكر قوة يقينية في الله عز وجل، وثقة بأن الله ينصره والمؤمنين. وهذه الشجاعة لا تحصل إلا لمن كان قوي القلب، لكن هذه تزيد بزيادة الإيمان واليقين، وتنقص بنقص ذلك فمن تيقن أنه يغلب عدوه كان إقدامه عليه، بخلاف من لم يكن كذلك، وهذا من أعظم شجاعة المسلمين وإقدامهم على عدوهم.

ثم قد علم كل من علم السيرة أن أبا بكر أقوى قلبًا من جميع الصحابة لا يقاربه في ذلك أحد منهم؛ فإنه من حين بعث الله نبيه إلى أن مات أبو بكر لم يزل مجاهدًا مقدامًا شجاعًا لم يعرف قط أنه جبن عن قتال عدوه .

وها هو فارس الإسلام المغوار الذي يضرب به المثل في الشجاعة على بن أبي طالب يقرُّ بأن أبا بكر كان أشجع الناس ، ولم يقل ذلك في حياة أبي بكر حتى لا يقال إنه قال ذلك مجاملة له إنما قال ذلك بعد موت الصديق وفي خلافته قال ذلك بين أنصاره وشيعته .

شهادة أقوى الرجال لأشجع الناس

جاء في مسند عليٍّ عن محمد بن عقيل قال خطبنا علي بن أبي طالب فقال : " أيها الناس أخبروني من أشجع الناس قالوا أنت يا أمير المؤمنين قال أما إني ما بارزت أحداً إلا انتصفت منه ولكن أخبروني بأشجع الناس قالوا لا نعلم فمن قال أبو بكر إنه لما كان يوم بدر جعلنا لرسول الله ﷺ عريشاً (العريش خيمة من خشب تنصب ويظلل عليها) فقلنا من يكون مع رسول الله ﷺ لئلا يهوي إليه أحد من المشركين فوالله ما دنا منا أحد إلا أبو بكر شاهراً بالسيف على رأس رسول الله ﷺ لا يهوي إليه أحد إلا أهوى إليه فهذا أشجع الناس ولقد رأيت رسول الله ﷺ وأخذته قريش فهذا يجأه (يضربه) وهذا يتلتله (يزعزعه ويزلزله) وهم يقولون أنت الذي جعلت الآلهة إلهاً واحداً فوالله ما دنا منا أحد إلا أبو بكر يضرب هذا ويجأ هذا ويتلتل هذا وهو يقول ويلكم أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله ثم رفع عليٌّ بردة كانت عليه فبكي حتى اخضلَّت لحيته ثم قال أنشدكم الله أمؤمن آل فرعون خير أم أبو بكر فسكت القوم فقال ألا تجيبوني فوالله لساعة من أبي بكر خير من مثل مؤمن آل فرعون ذاك رجل يكتم إيمانه وهذا رجل أعلن إيمانه."

هذه هي درجة الصديقية التي تحوِّل الرجل النحيف الأسيف الرقيق سريع الحزن والبكاء إلى فارس مغوار يدفع ويضرب ويزلزل ولو لم يفعل ذلك في موقف واحد إنما كان هذا خلقه وديدنه طول حياته في الإسلام.

والشجاعة ليست في الحرب فقط إنما في المواقف الحاسمة فها هو يوم موت النبي ﷺ الذي تزلزلت فيه القلوب وخشعت الأصوات ، ولم يقو على تحمله أقوى الرجال وأشجعهم عمر بن الخطاب ثبت أبو بكر

ثبوت الجبال الراسخات وهو أشد الناس حباً لرسول الله ﷺ وأقربهم إليه مودة . إنه الصديق الذي أيَّد الله به الإسلام في حياة رسوله، وحفظه به بعد مماته .

موقف أبي بكر من موت النبي ﷺ

لما مات الرسول ﷺ أظلمت المدينة واضطرب الناس وصار يوما عظيما واجتمع الناس في المسجد وقام عمر وقال: إن النبي ﷺ لم يمت ولكنه صعد يعني غشي عليه وليبعثنه الله فليقطعن أيدي رجال وأرجلهم اهتز قلبه يقولها بجد وحزم وكان أبو بكر حين مات الرسول ﷺ خارج المدينة في حائط له فذهبوا فأخبروه أخبروا أبا بكر عن السيدة عَائِشَةَ زَوْجَ النَّبِيِّ ﷺ أَخْبَرَتْهُ قَالَتْ أَقْبَلَ أَبُو بَكْرٍ عَلَى فَرَسِهِ مِنْ مَسْكَنِهِ بِالسُّنْحِ حَتَّى نَزَلَ فَدَخَلَ الْمَسْجِدَ فَلَمْ يُكَلِّمْ النَّاسَ حَتَّى دَخَلَ عَلَى عَائِشَةَ فَتَيَمَّمَ النَّبِيَّ ﷺ وَهُوَ مُسَجًّى بِبُرْدِ حِبَرَةٍ فَكَشَفَ عَنْ وَجْهِهِ ثُمَّ أَكَبَّ عَلَيْهِ فَقَبَّلَهُ ثُمَّ بَكَى فَقَالَ بِأَبِي أَنْتَ يَا نَبِيَّ اللَّهِ لَا يَجْمَعُ اللَّهُ عَلَيْكَ مَوْتَتَيْنِ أَمَّا الْمَوْتَةُ الَّتِي كُتِبَتْ عَلَيْكَ فَقَدْ مُتَّهَا .

قَالَ أَبُو سَلَمَةَ فَأَخْبَرَنِي ابْنُ عَبَّاسٍ أَنَّ أَبَا بَكْرٍ خَرَجَ وَعُمَرُ يُكَلِّمُ النَّاسَ فَقَالَ اجْلِسْ فَأَبَى فَقَالَ اجْلِسْ فَأَبَى فَتَشَهَّدَ أَبُو بَكْرٍ فَمَالَ إِلَيْهِ النَّاسُ وَتَرَكُوا عُمَرَ فَقَالَ أَمَّا بَعْدُ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ يَعْبُدُ مُحَمَّدًا ﷺ فَإِنَّ مُحَمَّدًا ﷺ قَدْ مَاتَ وَمَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ حَيٌّ لَا يَمُوتُ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى

﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ إِلَى الشَّاكِرِينَ﴾

وَاللَّهِ لَكَأَنَّ النَّاسَ لَمْ يَكُونُوا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَهَا حَتَّى تَلَاهَا أَبُو بَكْرٍ فَتَلَقَّاهَا مِنْهُ النَّاسُ فَمَا يُسْمَعُ بَشَرٌ إِلَّا يَتْلُوهَا " [صحيح البخاري]

قَالَ عُمَرُ وَاَللّهِ مَا هُوَ إِلّا أَنْ سَمِعْت أَبَا بَكْرٍ تَلَاهَا ، فَعَقَرْت حَتّى وَقَعْت إلَى الْأَرْضِ مَا تَحْمِلُنِي رِجْلَايَ وَعَرَفْت أَنّ رَسُولَ اللّهِ ﷺ قَدْ مَاتَ "

ماذا حدث في سقيفة بني ساعدة ؟

أما ما حدث في سقيفة بني ساعدة ففتنة إن لم يتصدَّ لها أبو بكر ربما قضت على دولة الإسلام الوليدة .

" اجْتَمَعَتِ الأَنْصَارُ إِلَى سَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ فِى سَقِيفَةِ بَنِى سَاعِدَةَ فَقَالُوا مِنَّا أَمِيرٌ وَمِنْكُمْ أَمِيرٌ ، فَذَهَبَ إِلَيْهِمْ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ وَأَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ ، فَذَهَبَ عُمَرُ يَتَكَلَّمُ فَأَسْكَتَهُ أَبُو بَكْرٍ ، وَكَانَ عُمَرُ يَقُولُ وَاللَّهِ مَا أَرَدْتُ بِذَلِكَ إِلاَّ أَنِّى قَدْ هَيَّأْتُ كَلاَمًا قَدْ أَعْجَبَنِى خَشِيتُ أَنْ لاَ يَبْلُغَهُ أَبُو بَكْرٍ ، ثُمَّ تَكَلَّمَ أَبُو بَكْرٍ فَتَكَلَّمَ أَبْلَغَ النَّاسِ فَقَالَ فِى كَلاَمِهِ نَحْنُ الأُمَرَاءُ وَأَنْتُمُ الْوُزَرَاءُ . فَقَالَ حُبَابُ بْنُ الْمُنْذِرِ لاَ وَاللَّهِ لاَ نَفْعَلُ ، مِنَّا أَمِيرٌ وَمِنْكُمْ أَمِيرٌ . فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ لاَ ، وَلَكِنَّا الأُمَرَاءُ وَأَنْتُمُ الْوُزَرَاءُ هُمْ أَوْسَطُ الْعَرَبِ دَارًا ، وَأَعْرَبُهُمْ أَحْسَابًا فَبَايِعُوا عُمَرَ أَوْ أَبَا عُبَيْدَةَ . فَقَالَ عُمَرُ بَلْ نُبَايِعُكَ أَنْتَ ، فَأَنْتَ سَيِّدُنَا وَخَيْرُنَا وَأَحَبُّنَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَأَخَذَ عُمَرُ بِيَدِهِ فَبَايَعَهُ ، وَبَايَعَهُ النَّاسُ ، فَقَالَ قَائِلٌ قَتَلْتُمْ سَعْدَ بْنَ عُبَادَةَ . فَقَالَ عُمَرُ قَتَلَهُ اللَّهُ " [صحيح البخاري]

ووقى الله تعالى المسلمين فتنة عظيمة لا يعلم مدى خطورتها إلا الله، وكانت شجاعة وصدق يقين أبو بكر سبب عدم وقوع هذه الفتنة .

***

ثاني اثنين في الهجرة

بيعة العقبة الثانية

ظلَّ النبي ﷺ ثلاث عشرة سنة يدعو أهل مكة إلى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة يسانده المسلمون الأوائل وفي مقدمتهم أبو بكر في الدعوة حتى أذن الله تعالى للمؤمنين أنا يهاجروا فهاجروا إلى الحبشة مرتين ، ثم الهجرة إلى المدينة بعد بيعة العقبة الثانية حيث عاهد النبي ﷺ أهل المدينة على نصرته إذا هاجر إليهم فعن جابر قال: مكث رسول الله ﷺ بمكة عشر سنين (بالإضافة إلى ثلاث سنوات كانت الدعوة فيها سرية) يتبع الناس في منازلهم، عكاظ ومجنة، في المواسم، يقول: " من يؤويني ؟ من ينصرني ؟ حتى أبلغ رسالة ربي وله الجنة " فلا يجد أحداً يؤويه ولا ينصره، حتى إن الرجل ليخرج من اليمن أو من مُضَر، كذا قال فيه، فيأتيه قومه وذوو رحمه فيقولون: احذر غلام قريش لا يفتنك.

ويمضى بين رحالهم وهم يشيرون إليه بالأصابع.

حتى بعثنا الله إليه من يثرب فآويناه وصدقناه، فيخرج الرجل منا فيؤمن به ويقرئه القرآن فينقلب إلى أهله فيسلمون بإسلامه، حتى لم تبق دار من دور الأنصار إلا وفيها رهط من المسلمين يظهرون الإسلام.

ثم ائتمروا جميعا فقلنا: حتى متى نترك رسول الله ﷺ يطوف ويطرد في جبال مكة ويخاف ؟ فرحل إليه منا سبعون رجلاً حتى قدموا عليه في الموسم، فواعدناه شعب العقبة، فاجتمعنا عندها من رجل ورجلين

حتى توافينا فقلنا: يا رسول الله علام نبايعك؟ قال: " تبايعوني على السمع والطاعة في النشاط والكسل، والنفقة في العسر واليسر، وعلى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، وأن تقولوا في الله لا تخافوا في الله لومة لائم، وعلى أن تنصروني فتمنعوني إذا قدمت عليكم مما تمنعون منه أنفسكم وأزواجكم وأبناءكم ولكم الجنة، فقمنا إليه فبايعناه وأخذ علينا وشرط ويعطينا على ذلك الجنة.[وهذا إسناد جيد على شرط مسلم ولم يخرجوه]

قال أهل العقبة للنبي : ابسط يدك.

فبسط يده فبايعوه.

تآمر قريش لقتل النبي

وبعد ذلك سمح النبي للمسلمين بالهجرة إلى المدينة المنورة ليس نجاة بأنفسهم إنما لتأسيس دولة الإسلام وقد مهَّد لها ببيعة العقبة الأولى والثانية .

فهاجر كل المسلمين ولم يتخلَّف معه بمكة إلا من حُبِس أو فتن، إلا على بن أبى طالب وأبو بكر بن أبى قحافة .

وكان أبو بكر كثيراً ما يستأذن رسول الله ﷺ في الهجرة فيقول له " لا تعجل لعل الله يجعل لك صاحباً " فيطمع أبو بكر أن يكونه.

فلما رأت قريش أن رسول الله ﷺ قد صار له شيعة وأصحاب من غيرهم بغير بلدهم ورأوا خروج أصحابه من المهاجرين إليهم، عرفوا أنهم قد نزلوا داراً وأصابوا منهم منعة.

فحذروا خروج رسول الله ﷺ إليهم، وعرفوا أنه قد أجمع لحربهم.

فتشاوروا، قال أبو جهل بن هشام: والله إن لي فيه رأياً ما أراكم وقعتم عليه بعد.

قالوا: وما هو يا أبا الحكم ؟ قال: أرى أن نأخذ من كان قبيلة فتى شاباً جليداً نسيباً وسيطاً فينا، ثم نعطى كل فتى منهم سيفاً صارماً، ثم يعمدوا إليه فيضربوه بها ضربة رجل واحد فيقتلوه فنستريح منه، فإنهم إذا فعلوا ذلك تفرق دمه في القبائل جميعها، فلم يقدر بنو عبد مناف على حرب قومهم جميعاً، فرضوا منا بالعقل فعقلناه لهم.

فتفرَّق القوم على ذلك وهم مجمعون له.

فأتى جبرائيل رسول الله ﷺ فقال له: لا تبت هذه الليلة على فراشك الذي كنت تبيت عليه.

قال: فلما كانت عتمة من الليل اجتمعوا على بابه يرصدونه حتى ينام فيثبون عليه، فلما رأى رسول الله ﷺ مكانهم قال لعلى بن أبى طالب: نم على فراشي وتسج ببردى هذا الحضرمي الأخضر، فنم فيه فإنه لن يخلص إليك شيء تكرهه منهم.

وكان رسول الله ﷺ ينام في برده ذلك إذا نام.

وهذه القصة التي ذكرها ابن إسحاق قد رواها الواقدي بأسانيده، عن عائشة وابن عباس وعلى وسراقة بن مالك وغيرهم .

فأغشيناهم فهم لا يبصرون

قال ابن إسحاق: لما اجتمعوا له، وفيهم أبو جهل قال وهم على بابه: إن محمداً يزعم أنكم إن تابعتموه على أمره كنتم ملوك العرب والعجم، ثم بعثتم من بعد موتكم، فجعلت لكم جنان كجنان الأردن، وإن لم تفعلوا كان فيكم ذبح، ثم بعثتم بعد موتكم، ثم جعلت لكم نار تحرقون فيها.

قال: فخرج رسول الله ﷺ فأخذ حفنة من تراب في يده ثم قال: " نعم أنا أقول ذلك، أنت أحدهم ".

وأخذ الله على أبصارهم عنه فلا يرونه، فجعل ينثر ذلك التراب على رؤوسهم وهو يتلو هذه الآيات:﴿ يس * وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ * إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ * عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ * تَنْزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ * لِتُنْذِرَ قَوْمًا مَا أُنْذِرَ آبَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ * لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَى أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ * إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا فَهِيَ إِلَى الْأَذْقَانِ فَهُمْ مُقْمَحُونَ * وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ [يس: ١-٩] ولم يبق منهم رجل إلا وقد وضع على رأسه تراباً.

ثم انصرف إلى حيث أراد أن يذهب.

فأتاهم آتٍ ممن لم يكن معهم فقال: ما تنتظرون ههنا ؟ قالوا: محمداً.

فقال: خيبكم الله !

قد والله خرج عليكم محمد، ثم ما ترك منكم رجلاً إلا وقد وضع على رأسه تراباً، وانطلق لحاجته، أفما ترون ما بكم ؟ ! قال: فوضع كل رجل منهم يده على رأسه، فإذا عليه تراب، ثم جعلوا يتطلَّعون فيرون عليّاً على الفراش متسجياً ببرد رسول الله ﷺ فيقولون: والله إن هذا لمحمد نائماً عليه برده، فلم يبرحوا كذلك حتى أصبحوا، فقام عليٌّ عن الفراش فقالوا: والله لقد كان صدقنا الذي كان حدثنا.

قال ابن إسحاق: فكان مما أنزل الله في ذلك اليوم وما كانوا أجمعوا له قوله تعال: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللهُ وَاللهُ خَيْرُ المَاكِرِينَ﴾ [الأنفال:٣٠] وقوله ﴿أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ المَنُونِ * قُلْ تَرَبَّصُوا فَإِنِّي مَعَكُمْ مِنَ المُتَرَبِّصِينَ﴾ [الطُّور:٣٠ ، ٣١]

قال ابن إسحاق: فأذن الله لنبيه ﷺ عند ذلك بالهجرة.

التخطيط للهجرة

وقد كانت هجرته ﷺ في شهر ربيع الأول، سنة ثلاث عشرة من بعثته ﷺ وذلك في يوم الاثنين.

قال محمد بن إسحاق: وكان أبو بكر حين استأذن رسول الله ﷺ في الهجرة فقال له: لا تعجل لعل الله أن يجعل لك صاحبا، قد طمع بأن يكون رسول الله ﷺ إنما يعنى نفسه.

فابتاع راحلتين فحبسهما في داره يعلفهما إعداداً لذلك.

قال الواقدي: اشتراهما بثمانمائة درهم."

منذ استشعر أبو بكر بأنه ربما يكون رفيقاً للنبي ﷺ في الهجرة أخذ يعدُّ العدة فاشترى راحلتين وحبسهما في داره وأخذ يعلفهما حتى ما أذن الله تعالى لنبيه ﷺ بالهجرة يكون مستعداً لذلك ، هذا هو التوكل الحق على الأخذ في الأسباب والدعاء لله بالتوفيق .

قال ابن إسحاق: فحدَّثني من لا أتهم، عن عروة بن الزبير، عن عائشة أم المؤمنين، أنها قالت: كان لا يخطئ رسول الله ﷺ أن يأتي بيت أبى بكر أحد طرفي النهار إما بكرة، وإما عشية.

حتى إذا كان اليوم الذي أذن الله فيه رسول الله ﷺ في الهجرة والخروج من مكة من بين ظهري قومه أتانا رسول الله ﷺ بالهاجرة في ساعة كان لا يأتي فيها.

قالت: فلما رآه أبو بكر قال: ما جاء رسول الله ﷺ في هذه الساعة إلا لأمر حدث.

قالت: فلما دخل تأخر له أبو بكر عن سريره، فجلس رسول الله ﷺ وليس عند رسول الله ﷺ أحد إلا أنا وأختي أسماء بنت أبى بكر، فقال رسول الله ﷺ : " أخرج عنى من عندك " قال: يا رسول الله إنما هما ابنتاي، وما ذاك فداك أبى وأمي ؟ قال: إن الله قد أذن لي في الخروج والهجرة.

قالت: فقال أبو بكر: الصحبة يا رسول الله ؟ قال: الصحبة.

قالت: فو الله ما شعرت قط قبل ذلك اليوم أن أحداً يبكى من الفرح، حتى رأيت أبا بكر يومئذ يبكى ! "

أبعد هذا الحب للنبي ﷺ حب إن الهجرة مع النبي ﷺ محفوفة بالمخاطر فقريش تترصده ﷺ وتآمرت على قتله ، ومن المفترض أن يسيطر القلق والاضطراب على من يصحب رسول الله ﷺ فيه الرحلة غير مأمونة العواقب بل إن عاقبتها القتل إن أمسكت بهما قريش ، ولكن يقين أبو بكر بالله تعالى وحبه للنبي ﷺ قد جعلاه يبكي من الفرح أن شرفه الله أن يكون رفيقاً للنبي ﷺ في الهجرة دون سائر المسلمين .

" ثم قال أبو بكر : يا نبي الله إن هاتين راحلتين كنت أعددتهما لهذا.

فاستأجرا عبد الله بن أرقط وكان مشركاً، يدلهما على الطريق، ودفعا إليه راحلتيهما، فكانتا عنده يرعاهما لميعادهما.

قال ابن إسحاق: ولم يعلم، فيما بلغني، بخروج رسول الله ﷺ أحد حين خرج إلا على بن أبى طالب وأبو بكر الصديق وآل أبى بكر.

أما على فإن رسول الله ﷺ أمره أن يتخلف حتى يؤدى عن رسول الله ﷺ الودائع التي كانت عنده للناس، وكان رسول الله ﷺ، وليس بمكة أحد عنده شيء يخشى عليه إلا وضعه عنده، لما يعلم من صدقه وأمانته."

لم يستحلَّ النبي ﷺ أموال أهل مكة الذين عادوه وأخرجوه من أحب بلاد الله إليه إنما ترك علياً ليرد الأمانات إلى أهلها ، وهذا درس عظيم في الأمانة حتى مع من خالفك وعاداك نقول هذا للإرهابيين المجرمين الذين يزعمون أنهم يحاربون لنصرة الله ورسوله وهم يقتلون النفس التي

حرم الله ، ويهلكون الحرث والنسل ، ويأكلون أموال الناس بالباطل . ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الخِصَامِ * وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللهُ لَا يُحِبُّ الفَسَادَ﴾ [البقرة :٢٠٤ ، ٢٠٥]

قال ابن إسحاق: " فلما أجمع رسول الله ﷺ الخروج أتى أبا بكر ابن أبى قحافة، فخرجا من خوخة لأبي بكر في ظهر بيته. ثم عمدا إلى غار بثور، جبل بأسفل مكة، فدخلاه.

وعن ابن أبى مليكة، أن النبي ﷺ لما خرج هو وأبو بكر إلى ثور، فجعل أبو بكر يكون أمام النبي ﷺ مرة، وخلفه مرة.

فسأله النبي ﷺ عن ذلك فقال: إذا كنت خلفك خشيت أن تؤتى من أمامك، وإذا كنت أمامك خشيت أن تؤتى من خلفك.

حتى إذا انتهى إلى الغار من ثور، قال أبو بكر: كما أنت حتى أدخل يدي فأحسُّه وأقصُّه، فإن كانت فيه دابة أصابتني قبلك.

قال نافع: فبلغني أنه كان في الغار جُحْر فألقم أبو بكر رجله ذلك الجحر تخوفاً أن يخرج منه دابة أو شيء يؤذى رسول الله ﷺ ."

ما بلغنا عن أحد أحبَّ أحداً كحب أبي بكر للنبي ﷺ وتضحيته في سبيله .

شهادة عمر على إيثار الصديق النبي على نفسه

حدثنا محمد بن سيرين، قال: ذَكَر رجالٌ على عهد عمر، فكأنهم فضَّلوا عمر على أبى بكر، فبلغ ذلك عمر فقال: والله لليلة من أبى بكر خير من آل عمر، وليوم من أبى بكر خير من آل عمر ! لقد خرج رسول الله ﷺ ليلة انطلق إلى الغار ومعه أبو بكر فجعل يمشى ساعة بين يديه وساعة خلفه.

حتى فطن رسول الله ﷺ فقال: يا أبا بكر ما لك تمشى ساعة خلفي وساعة بين يدي ؟ فقال: يا رسول الله أذكر الطلب فأمشي خلفك، ثم أذكر الرصد فأمشي بين يديك.

فقال: يا أبا بكر لو كان شيء لأحببتَ أن يكون بكَ دُوني ؟

قال: نعم والذي بعثك بالحق.

فلما انتهيا إلى الغار قال أبو بكر: مكانك يا رسول الله حتى أستبرئ لك الغار، فدخل فاستبرأه، حتى إذا كان ذكر أنه لم يستبرئ الجحرة فقال: مكانك يا رسول الله حتى أستبرئ.

فدخل فاستبرأ ثم قال: انزل يا رسول الله. فنزل.

ثم قال عمر: والذي نفسي بيده لتلك الليلة خير من آل عمر."

وهذه شهادة من الخليفة الراشد الثاني المحدَّث عمر بن الخطاب يبين فيها مكانة وفضل أبي بكر.

وقال ابن إسحاق " أمر أبو بكر الصديق ابنه عبد الله أن يتسمَّع لهما ما يقول الناس فيهما نهاره، ثم يأتيهما إذا أمسى بما يكون في ذلك اليوم من الخبر.

إيثار الصديق النبي على ماله وأهله

وأمر عامر بن فهيرة مولاه أن يرعى غنمه نهاره، ثم يريحها عليهما إذا أمسى في الغار.

فكان عبد الله بن أبى بكر يكون في قريش نهاره معهم، يسمع ما يأتمرون به، وما يقولون في شأن رسول الله ﷺ وأبى بكر، ثم يأتيهما إذا أمسى فيخبرهما الخبر.

وكان عامر بن فهيرة يرعى في رعيان أهل مكة، فإذا أمسى أراح عليهما غنم أبى بكر فاحتلبا وذبحا، فإذا غدا عبد الله بن أبى بكر من عندهما إلى مكة أتبع عامر ابن فهيرة أثره بالغنم يعفى عليه.

قال ابن إسحاق: وكانت أسماء بنت أبى بكر تأتيهما من الطعام إذا أمست بما يصلحهما."

يأمر أبو بكر ابنه عبد الله أن يستطلع أخبار أهل مكة ليطلعه عليها لاختيار الوقت المناسب للهجرة ، ويأمر ابنته أسماء بإحضار الطعام والشراب وما يلزم الإعاشة في الغار ، ويأمر خادمه عامر بن فهيرة بأن يأتي بالغنم ليشربوا من لبنها ويأكلوا من لحومها ، ولتطمس أثر أقدام أسماء وأخيها عبد الله .. أنظروا إلى دقة التخطيط وإحكام التدبير اللذين سخَّر لهما أبو بكر أهله للقيام على تنفيذهما على ما يكتنف هذه الأعمال من مخاطر جزاؤها القتل ، ولكن أبا بكر لم يفكِّر إلا في سلامة النبي ﷺ ونجاح الدعوة وإن ضحَّى في سبيل ذلك بنفسه وولده وماله وكل عزيز عليه ، هذا مقام الصديقية الذي لم يبلغه من الصحابة إلا أبو بكر وهذه منزلة حق اليقين التي لم يصل إليها منهم أحد سواه .

قالت أسماء: " ولما خرج رسول الله ﷺ وأبو بكر أتانا نفر من قريش فيهم أبو جهل بن هشام، فوقفوا على باب أبى بكر فخرجت إليهم فقالوا: أين أبوك يا ابنة أبى بكر ؟ قالت: قلت: لا أدرى والله أين أبى.

قالت: فرفع أبو جهل يده، وكان فاحشاً خبيثاً، فلطم خدي لطمة طرح منها قرطي، ثم انصرفوا.

عن أسماء قالت: لما خرج رسول الله ﷺ وخرج أبو بكر معه، احتمل أبو بكر ماله كله معه، خمسة آلاف درهم أو ستة آلاف درهم، فانطلق بها معه.

قالت: فدخل علينا جدي أبو قحافة، وقد ذهب بصره، فقال: والله إني لأراه قد فجعكم بماله مع نفسه.

قالت: قلت: كلا يا أبت إنه قد ترك لنا خيراً كثيراً.

قالت: وأخذت أحجاراً فوضعتها في كوة في البيت الذي كان أبى يضع ماله فيها، ثم وضعت عليها ثوباً، ثم أخذت بيده فقلت: يا أبت ضع يدك على هذا المال.

قالت: فوضع يده عليه فقال: لا بأس، إذا كان قد ترك لكم هذا فقد أحسن، وفى هذا بلاغ لكم.

ولا والله ما ترك لنا شيئاً، ولكن أردت أن أسكن الشيخ بذلك ! "

أي إيمان هذا الذي يجعل رجلاً يأخذ كل ماله لينفقه في سبيل الله ورسوله ويترك أهله بلا مال ؟!

ثانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ

لم تيأس قريش من البحث عن النبي ﷺ بل أخذت تبحث عنه في كل مكان ، وبذلوا جهدهم بحثاً عنه واسخَّروا علومهم ومعارفهم في سبيل ذلك .

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ﴾ قَالَ تَشَاوَرَتْ قُرَيْشٌ لَيْلَةً بِمَكَّةَ فَقَالَ بَعْضُهُمْ إِذَا أَصْبَحَ فَأَثْبِتُوهُ بِالْوَثَاقِ يُرِيدُونَ النَّبِيَّ ﷺ وَقَالَ بَعْضُهُمْ بَلْ اقْتُلُوهُ وَقَالَ بَعْضُهُمْ بَلْ أَخْرِجُوهُ فَأَطْلَعَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ نَبِيَّهُ ﷺ عَلَى ذَلِكَ فَبَاتَ عَلِيٌّ عَلَى فِرَاشِ النَّبِيِّ ﷺ تِلْكَ اللَّيْلَةَ وَخَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ حَتَّى لَحِقَ بِالْغَارِ وَبَاتَ الْمُشْرِكُونَ يَحْرُسُونَ عَلِيًّا يَحْسَبُونَهُ النَّبِيَّ ﷺ فَلَمَّا أَصْبَحُوا ثَارُوا إِلَيْهِ فَلَمَّا رَأَوْا عَلِيًّا رَدَّ اللَّهُ مَكْرَهُمْ فَقَالُوا أَيْنَ صَاحِبُكَ هَذَا قَالَ لَا أَدْرِي فَاقْتَصُّوا أَثَرَهُ فَلَمَّا بَلَغُوا الْجَبَلَ خُلِّطَ عَلَيْهِمْ فَصَعِدُوا فِي الْجَبَلِ فَمَرُّوا بِالْغَارِ فَرَأَوْا عَلَى بَابِهِ نَسْجَ الْعَنْكَبُوتِ فَقَالُوا لَوْ دَخَلَ هَاهُنَا لَمْ يَكُنْ نَسْجُ الْعَنْكَبُوتِ عَلَى بَابِهِ فَمَكَثَ فِيهِ ثَلَاثَ لَيَالٍ " [رواه أحمد]

وبعض الباحثين يشكِّك في نسج العنكبوت على باب الغار مع أن الحديث الذي رواه أحمد في مسنده وابن كثير في " البداية والنهاية " ، وابن حجر في " الفتح ".

قال بن كثير تعليقاً على هذا الحديث " وهذا إسناد حسن، وهو من أجود ما روى في قصة نسج العنكبوت على فم الغار، وذلك من حماية الله ورسوله ﷺ " .

وعن الحسن البصري، قال: انطلق النبي ﷺ وأبو بكر إلى الغار، وجاءت قريش يطلبون النبي ﷺ وكانوا إذا رأوا على باب الغار نسج العنكبوت قالوا: لم يدخل أحد.

يا أبا بكر لا تخف إن الله معنا

وكان النبي ﷺ قائماً يصلى وأبو بكر يرتقَّب، فقال أبو بكر للنبي ﷺ: هؤلاء قومك يطلبونك، أما والله ما على نفسي أئل (أحزن) ولكن مخافة أن أرى فيك ما أكره.

فقال له النبي ﷺ : " يا أبا بكر لا تخف إن الله معنا ".

وقد كان ﷺ إذا أحزنه أمر صلَّى.

وقد قال الله تعالى: ﴿إِلا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنزلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة:٤٠] يقول تعالى مُؤنِّباً لمن تخلَّف عن الجهاد مع الرسول ﷺ : " إلا تنصروه " أنتم فإن الله ناصره ومؤيده ومظفره، كما نصره " إذ أخرجه الذين كفروا " من أهل مكة مهاجراً ليس معه غير صاحبه وصديقه أبى بكر ليس غيره.

ولهذا قال " ثاني اثنين إذ هما في الغار " أي وقد لجآ إلى الغار فأقاما فيه ثلاثة أيام ليسكن الطلب عنهما.

وذلك لأن المشركين حين فقدوهما كما تقدَّم ذهبوا في طلبهما كل مذهب من سائر الجهات، وجعلوا لمن ردهما، أو أحدهما مائة من الإبل، واقتصوا آثارهما حتى اختلط عليهم، وكان الذي يقتص الأثر لقريش سراقة بن مالك بن جعشم فصعدوا الجبل الذي هما فيه، وجعلوا يمرُّون على باب الغار، فتحاذي أرجلهم لباب الغار ولا يرونهما، حفظاً من الله لهما.

كما قال أحمد: عن أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ أَنَّ أَبَا بَكْرٍ الصِّدِّيقَ حَدَّثَهُ قَالَ : نَظَرْتُ إِلَى أَقْدَامِ الْمُشْرِكِينَ عَلَى رُءُوسِنَا وَنَحْنُ فِي الْغَارِ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ لَوْ أَنَّ أَحَدَهُمْ نَظَرَ إِلَى قَدَمَيْهِ أَبْصَرَنَا تَحْتَ قَدَمَيْهِ فَقَالَ يَا أَبَا بَكْرٍ مَا ظَنُّكَ بِاثْنَيْنِ اللَّهُ ثَالِثُهُمَا " [متفق عليه]

ولما بلغ النبي ﷺ وصاحبة يأس قريش من العثور عليهما وكفَّا عن البحث عنهما قرر النبي ﷺ الهجرة إلى المدينة فأرسلا إلى عامر بن فهيرة وانطلق معهما فأخذ بهم طريق السواحل.

لقد أخذ النبي وأبو بكر في كل الأسباب واستفرغا جهدهما وكان توكلهم على الله من قبل ومن بعد الإعداد والأخذ في الأسباب فكان تأييد الله لهما بأن أعمى بصر أهل مكة عنهما إذ وقفوا بباب الغار ، وأساخ أقدام فرس سراقة عندما أبصرهما وفي هذا درس عظيم في حسن التوكل على الله تعالى .

سراقة بن مالك يروي ما حدث له في الهجرة

عن ابن شهاب قال سراقة بن مالك: جاءنا رسل كفار قريش يجعلون في رسول الله ﷺ وأبى بكر دية كل واحد منهما لمن قتله أو أسره.

فبينما أنا جالس في مجلس من مجالس قومي بنى مدلج، إذ أقبل رجل منهم حتى قام علينا ونحن جلوس.

فقال: يا سراقة إنى رأيت آنفا أسودة (سواد شخص يرى من بعيد) بالساحل أراها محمداً وأصحابه.

قال سراقة: فعرفت أنهم هم، فقلت له: إنهم ليسوا بهم، ولكنك رأيت فلاناً وفلاناً انطلقوا بأعيننا.

ثم لبثت في المجلس ساعة، ثم قمت فدخلت فأمرت جاريتي أن تخرج بفرسي وهى من وراء أكمة فتحبسها على، وأخذت رمحي فخرجت من ظهر البيت فخططت بزجه (الحديدة في أسفل الرمح) الأرض وخفضت عاليه، حتى أتيت فرسي فركبتها فدفعتها ففرت بي حتى دنوت منهم، فعثرت بي فرسي فخررت عنها، فركبت فرسي فجعل فرسي يقرب بي، حتى إذا سمعت قراءة رسول الله ﷺ وهو لا يلتفت وأبو بكر يكثر الالتفات، ساخت (غاصت) يدا فرسي في الأرض حتى بلغتا الركبتين، فخررت عنها فأهويت، ثم زجرتها فنهضت، فلم تكد تخرج يديها، فلما استوت قائمة إذا لأثر يديها غبار ساطع في السماء مثل الدخان فناديتهم بالأمان، فوقفوا فركبت فرسي حتى جئتهم ووقع في نفسي حين لقيت ما لقيت من الحبس عنهم أن سيظهر أمر رسول الله .

فقلت له: إن قومك قد جعلوا فيك الدية، وأخبرتهم أخبار ما يريد الناس بهم، وعرضت عليهم الزاد والمتاع، فلم يسألاني إلا أن قالا: أخفِ عنَّا.

فسألته أن يكتب لي كتاب أمن، فأمر عامر بن فهيرة فكتب لي رقعة من أدم.

ثم مضى رسول الله ﷺ .

ولما رجع سراقة جعل لا يلقى أحد من الطلب إلا رده وقال: كفيتم هذا الوجه."

والشاهد في هذه القصة غير عناية الله تعالى التي تحيط المتوكِّل على الله حقَّ توكله هو خوف أبي بكر على النبي ﷺ بكثرة التلفُّت يمنة ويسرة خشية أن يراهما أحد المتربصين بهم من قريش مع أن النبي ﷺ طمأنه وقال له " يَا أَبَا بَكْرٍ مَا ظَنُّكَ بِاثْنَيْنِ اللَّهُ ثَالِثُهُمَا " والنبي ﷺ نفسه لم يكن يلتفت كما ذكر سراقة لكن فرط حب أبي بكر وشدة الشفقة على النبي ﷺ ودعوته جعلته دائم الحذر كثير التلفت .

الذين آووا ونصروا

وسمع المسلمون بالمدينة بمخرج رسول الله ﷺ من مكة، فكانوا دون كل غداة إلى الحرة فينتظرونه حتى يردهم حر الظهيرة.

فانقلبوا يوماً بعد ما أطالوا انتظارهم، فلما أووا إلى بيوتهم فبصر رجل برسول الله ﷺ وأصحابه .

" فثار المسلمون إلى السلاح فتلقوا رسول الله ﷺ بظهر الحرة، يعدل بهم ذات اليمين حتى نزل بهم في بنى عمرو بن عوف، وذلك يوم الاثنين من شهر ربيع الأول.

فقام أبو بكر للناس، وجلس رسول الله ﷺ صامتاً، فطفق من جاء من الأنصار ممن لم ير رسول الله ﷺ يحيِّى أبا بكر، حتى أصابت الشمس رسول الله ﷺ فأقبل أبو بكر حتى ظلل عليه بردائه، فعرف الناس رسول الله ﷺ عند ذلك."

انظر إلى أبي بكر يظلُّ قائماً رغم مشقة السفر بينما جلس النبي ﷺ فإذا ما أحس حرَّ الشمس على النبي ﷺ ظلَّله بردائه ليحميه حرَّ الشمس وليرشد من لا يعرف النبي ﷺ عليه .

بهذا حاز أبو بكر حبَّ الله ورسوله ومنزلة الصديقية والأمر لا يتوقف على نصرة النبي ﷺ في مكة حيث آمن به إذ كذبه الناس ونصره إذ خذله الناس وفداه بنفسه وماله وولده إذ أخرجه الناس إنما استمرَّ أبو بكر على حاله هذه مع النبي ﷺ فِي الْمَكْرَهِ وَالْمَنْشَطِ وَالْعُسْرِ وَالْيُسْرِ ، ولا يُؤْثِر أحداً عليه لا يَخَافُ فِي اللَّهِ لَوْمَةَ لائِمٍ .

وإذا استعرضنا مواقف أبي بكر في نصرة الله ورسوله يطول بنا الحديث لكن سوف نكتفي بأبرزها .

***

أبو بكر وحديث الإفك

السيدة عائشة تحكي حديث الإفك

قد سبق الحديث عن شجاعة أبي بكر في غزوة بدر ، وغزوة حنين والآن نعرض لموقف غاية في الدقة وهو موقف أبي بكر من حديث الإفك حيث تُتَّهم ابنته التي أحسن تربيتها وزوَّجها خير البشر تُتَّهم في شرفها فأي إنسان في هذا الموقف ينتصر لابنته ومعه كلَّ الحقِّ تعالوا أولاً نستعرض الموقف ثم نعلِّق عليه .

عن عَائِشَةَ قَالَتْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَخْرُجَ سَفَرًا أَقْرَعَ بَيْنَ أَزْوَاجِهِ فَأَيَّتُهُنَّ خَرَجَ سَهْمُهَا خَرَجَ بِهَا مَعَهُ فَأَقْرَعَ بَيْنَنَا فِي غَزَاةٍ غَزَاهَا فَخَرَجَ سَهْمِي فَخَرَجْتُ مَعَهُ بَعْدَ مَا أُنْزِلَ الْحِجَابُ فَأَنَا أُحْمَلُ فِي هَوْدَجٍ وَأُنْزَلُ فِيهِ فَسِرْنَا حَتَّى إِذَا فَرَغَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ غَزْوَتِهِ تِلْكَ وَقَفَلَ وَدَنَوْنَا مِنْ الْمَدِينَةِ آذَنَ لَيْلَةً بِالرَّحِيلِ فَقُمْتُ حِينَ آذَنُوا بِالرَّحِيلِ فَمَشَيْتُ حَتَّى جَاوَزْتُ الْجَيْشَ فَلَمَّا قَضَيْتُ شَأْنِي أَقْبَلْتُ إِلَى الرَّحْلِ فَلَمَسْتُ صَدْرِي فَإِذَا عِقْدٌ لِي مِنْ جَزْعِ أَظْفَارٍ قَدْ انْقَطَعَ فَرَجَعْتُ فَالْتَمَسْتُ عِقْدِي فَحَبَسَنِي ابْتِغَاؤُهُ فَأَقْبَلَ الَّذِينَ يَرْحَلُونَ لِي فَاحْتَمَلُوا هَوْدَجِي فَرَحَلُوهُ عَلَى بَعِيرِي الَّذِي كُنْتُ أَرْكَبُ وَهُمْ يَحْسِبُونَ أَنِّي فِيهِ وَكَانَ النِّسَاءُ إِذْ ذَاكَ خِفَافًا لَمْ يَثْقُلْنَ وَلَمْ يَغْشَهُنَّ اللَّحْمُ وَإِنَّمَا يَأْكُلْنَ الْعُلْقَةَ مِنْ الطَّعَامِ فَلَمْ يَسْتَنْكِرْ الْقَوْمُ حِينَ رَفَعُوهُ ثِقَلَ الْهَوْدَجِ فَاحْتَمَلُوهُ وَكُنْتُ جَارِيَةً حَدِيثَةَ السِّنِّ فَبَعَثُوا الْجَمَلَ وَسَارُوا فَوَجَدْتُ عِقْدِي بَعْدَ مَا اسْتَمَرَّ الْجَيْشُ فَجِئْتُ مَنْزِلَهُمْ وَلَيْسَ فِيهِ

أَحَدٌ فَأَمَمْتُ مَنْزِلِي الَّذِي كُنْتُ بِهِ فَظَنَنْتُ أَنَّهُمْ سَيَفْقِدُونَنِي فَيَرْجِعُونَ إِلَيَّ فَبَيْنَا أَنَا جَالِسَةٌ غَلَبَتْنِي عَيْنَايَ فَنِمْتُ وَكَانَ صَفْوَانُ بْنُ الْمُعَطَّلِ السُّلَمِيُّ ثُمَّ الذَّكْوَانِيُّ مِنْ وَرَاءِ الْجَيْشِ فَأَصْبَحَ عِنْدَ مَنْزِلِي فَرَأَى سَوَادَ إِنْسَانٍ نَائِمٍ فَأَتَانِي وَكَانَ يَرَانِي قَبْلَ الْحِجَابِ فَاسْتَيْقَظْتُ بِاسْتِرْجَاعِهِ حِينَ أَنَاخَ رَاحِلَتَهُ فَوَطِئَ يَدَهَا فَرَكِبْتُهَا فَانْطَلَقَ يَقُودُ بِي الرَّاحِلَةَ حَتَّى أَتَيْنَا الْجَيْشَ بَعْدَ مَا نَزَلُوا مُعَرِّسِينَ فِي نَحْرِ الظَّهِيرَةِ فَهَلَكَ مَنْ هَلَكَ وَكَانَ الَّذِي تَوَلَّى الْإِفْكَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أُبَيٍّ ابْنُ سَلُولَ فَقَدِمْنَا الْمَدِينَةَ فَاشْتَكَيْتُ بِهَا شَهْرًا وَالنَّاسُ يُفِيضُونَ مِنْ قَوْلِ أَصْحَابِ الْإِفْكِ وَيَرِيبُنِي فِي وَجَعِي أَنِّي لَا أَرَى مِنْ النَّبِيِّ ﷺ اللُّطْفَ الَّذِي كُنْتُ أَرَى مِنْهُ حِينَ أَمْرَضُ إِنَّمَا يَدْخُلُ فَيُسَلِّمُ ثُمَّ يَقُولُ كَيْفَ تِيكُمْ لَا أَشْعُرُ بِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ حَتَّى نَقَهْتُ فَخَرَجْتُ أَنَا وَأُمُّ مِسْطَحٍ قِبَلَ الْمَنَاصِعِ مُتَبَرَّزُنَا لَا نَخْرُجُ إِلَّا لَيْلًا إِلَى لَيْلٍ وَذَلِكَ قَبْلَ أَنْ نَتَّخِذَ الْكُنُفَ قَرِيبًا مِنْ بُيُوتِنَا وَأَمْرُنَا أَمْرُ الْعَرَبِ الْأُوَلِ فِي الْبَرِّيَّةِ أَوْ فِي التَّنَزُّهِ فَأَقْبَلْتُ أَنَا وَأُمُّ مِسْطَحٍ بِنْتُ أَبِي رُهْمٍ نَمْشِي فَعَثَرَتْ فِي مِرْطِهَا فَقَالَتْ تَعِسَ مِسْطَحٌ فَقُلْتُ لَهَا بِئْسَ مَا قُلْتِ أَتَسُبِّينَ رَجُلًا شَهِدَ بَدْرًا فَقَالَتْ يَا هَنْتَاهْ أَلَمْ تَسْمَعِي مَا قَالُوا فَأَخْبَرَتْنِي بِقَوْلِ أَهْلِ الْإِفْكِ فَازْدَدْتُ مَرَضًا عَلَى مَرَضِي فَلَمَّا رَجَعْتُ إِلَى بَيْتِي دَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَسَلَّمَ فَقَالَ كَيْفَ تِيكُمْ فَقُلْتُ ائْذَنْ لِي إِلَى أَبَوَيَّ قَالَتْ وَأَنَا حِينَئِذٍ أُرِيدُ أَنْ أَسْتَيْقِنَ الْخَبَرَ مِنْ قِبَلِهِمَا فَأَذِنَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَأَتَيْتُ أَبَوَيَّ فَقُلْتُ لِأُمِّي مَا يَتَحَدَّثُ بِهِ النَّاسُ فَقَالَتْ يَا بُنَيَّةُ هَوِّنِي عَلَى نَفْسِكِ الشَّأْنَ فَوَاللَّهِ لَقَلَّمَا كَانَتْ امْرَأَةٌ قَطُّ وَضِيئَةٌ عِنْدَ رَجُلٍ يُحِبُّهَا وَلَهَا ضَرَائِرُ إِلَّا أَكْثَرْنَ عَلَيْهَا فَقُلْتُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَلَقَدْ يَتَحَدَّثُ النَّاسُ بِهَذَا قَالَتْ فَبِتُّ تِلْكَ اللَّيْلَةَ حَتَّى أَصْبَحْتُ لَا يَرْقَأُ لِي دَمْعٌ وَلَا أَكْتَحِلُ بِنَوْمٍ ثُمَّ أَصْبَحْتُ فَدَعَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ وَأُسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ حِينَ اسْتَلْبَثَ الْوَحْيُ يَسْتَشِيرُهُمَا فِي

فِرَاقِ أَهْلِهِ فَأَمَّا أُسَامَةُ فَأَشَارَ عَلَيْهِ بِالَّذِي يَعْلَمُ فِي نَفْسِهِ مِنْ الْوُدِّ لَهُمْ فَقَالَ أُسَامَةُ أَهْلُكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا نَعْلَمُ وَاللَّهِ إِلَّا خَيْرًا وَأَمَّا عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ لَمْ يُضَيِّقْ اللَّهُ عَلَيْكَ وَالنِّسَاءُ سِوَاهَا كَثِيرٌ وَسَلْ الْجَارِيَةَ تَصْدُقْكَ فَدَعَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَرِيرَةَ فَقَالَ يَا بَرِيرَةُ هَلْ رَأَيْتِ فِيهَا شَيْئًا يَرِيبُكِ فَقَالَتْ بَرِيرَةُ لَا وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ إِنْ رَأَيْتُ مِنْهَا أَمْرًا أَغْمِصُهُ عَلَيْهَا قَطُّ أَكْثَرَ مِنْ أَنَّهَا جَارِيَةٌ حَدِيثَةُ السِّنِّ تَنَامُ عَنْ الْعَجِينِ فَتَأْتِي الدَّاجِنُ فَتَأْكُلُهُ فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ يَوْمِهِ فَاسْتَعْذَرَ مِنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أُبَيٍّ ابْنِ سَلُولَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَنْ يَعْذُرُنِي مِنْ رَجُلٍ بَلَغَنِي أَذَاهُ فِي أَهْلِي فَوَاللَّهِ مَا عَلِمْتُ عَلَى أَهْلِي إِلَّا خَيْرًا وَقَدْ ذَكَرُوا رَجُلًا مَا عَلِمْتُ عَلَيْهِ إِلَّا خَيْرًا وَمَا كَانَ يَدْخُلُ عَلَى أَهْلِي إِلَّا مَعِي فَقَامَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنَا وَاللَّهِ أَعْذُرُكَ مِنْهُ إِنْ كَانَ مِنْ الْأَوْسِ ضَرَبْنَا عُنُقَهُ وَإِنْ كَانَ مِنْ إِخْوَانِنَا مِنْ الْخَزْرَجِ أَمَرْتَنَا فَفَعَلْنَا فِيهِ أَمْرَكَ فَقَامَ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ وَهُوَ سَيِّدُ الْخَزْرَجِ وَكَانَ قَبْلَ ذَلِكَ رَجُلًا صَالِحًا وَلَكِنْ احْتَمَلَتْهُ الْحَمِيَّةُ فَقَالَ كَذَبْتَ لَعَمْرُ اللَّهِ لَا تَقْتُلُهُ وَلَا تَقْدِرُ عَلَى ذَلِكَ فَقَامَ أُسَيْدُ بْنُ حُضَيْرٍ فَقَالَ كَذَبْتَ لَعَمْرُ اللَّهِ وَاللَّهِ لَنَقْتُلَنَّهُ فَإِنَّكَ مُنَافِقٌ تُجَادِلُ عَنْ الْمُنَافِقِينَ فَثَارَ الْحَيَّانِ الْأَوْسُ وَالْخَزْرَجُ حَتَّى هَمُّوا وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى الْمِنْبَرِ فَنَزَلَ فَخَفَّضَهُمْ حَتَّى سَكَتُوا وَسَكَتَ وَبَكَيْتُ يَوْمِي لَا يَرْقَأُ لِي دَمْعٌ وَلَا أَكْتَحِلُ بِنَوْمٍ فَأَصْبَحَ عِنْدِي أَبَوَايَ وَقَدْ بَكَيْتُ لَيْلَتَيْنِ وَيَوْمًا حَتَّى أَظُنُّ أَنَّ الْبُكَاءَ فَالِقٌ كَبِدِي قَالَتْ فَبَيْنَا هُمَا جَالِسَانِ عِنْدِي وَأَنَا أَبْكِي إِذْ اسْتَأْذَنَتْ امْرَأَةٌ مِنْ الْأَنْصَارِ فَأَذِنْتُ لَهَا فَجَلَسَتْ تَبْكِي مَعِي فَبَيْنَا نَحْنُ كَذَلِكَ إِذْ دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَجَلَسَ وَلَمْ يَجْلِسْ عِنْدِي مِنْ يَوْمِ قِيلَ فِيَّ مَا قِيلَ قَبْلَهَا وَقَدْ مَكَثَ شَهْرًا لَا يُوحَى إِلَيْهِ فِي شَأْنِي شَيْءٌ قَالَتْ فَتَشَهَّدَ ثُمَّ قَالَ يَا عَائِشَةُ فَإِنَّهُ بَلَغَنِي عَنْكِ كَذَا وَكَذَا فَإِنْ كُنْتِ بَرِيئَةً فَسَيُبَرِّئُكِ اللَّهُ

وَإِنْ كُنْتِ أَلْمَمْتِ بِذَنْبٍ فَاسْتَغْفِرِي اللَّهَ وَتُوبِي إِلَيْهِ فَإِنَّ الْعَبْدَ إِذَا اعْتَرَفَ بِذَنْبِهِ ثُمَّ تَابَ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ فَلَمَّا قَضَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَقَالَتَهُ قَلَصَ دَمْعِي حَتَّى مَا أُحِسُّ مِنْهُ قَطْرَةً وَقُلْتُ لِأَبِي أَجِبْ عَنِّي رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ وَاللَّهِ مَا أَدْرِي مَا أَقُولُ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقُلْتُ لِأُمِّي أَجِيبِي عَنِّي رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِيمَا قَالَ قَالَتْ وَاللَّهِ مَا أَدْرِي مَا أَقُولُ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَتْ وَأَنَا جَارِيَةٌ حَدِيثَةُ السِّنِّ لَا أَقْرَأُ كَثِيرًا مِنْ الْقُرْآنِ فَقُلْتُ إِنِّي وَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّكُمْ سَمِعْتُمْ مَا يَتَحَدَّثُ بِهِ النَّاسُ وَوَقَرَ فِي أَنْفُسِكُمْ وَصَدَّقْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ قُلْتُ لَكُمْ إِنِّي بَرِيئَةٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنِّي لَبَرِيئَةٌ لَا تُصَدِّقُونِي بِذَلِكَ وَلَئِنْ اعْتَرَفْتُ لَكُمْ بِأَمْرٍ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَنِّي بَرِيئَةٌ لَتُصَدِّقُنِّي وَاللَّهِ مَا أَجِدُ لِي وَلَكُمْ مَثَلًا إِلَّا أَبَا يُوسُفَ إِذْ قَالَ ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾ .

ثُمَّ تَحَوَّلْتُ عَلَى فِرَاشِي وَأَنَا أَرْجُو أَنْ يُبَرِّئَنِي اللَّهُ وَلَكِنْ وَاللَّهِ مَا ظَنَنْتُ أَنْ يُنْزِلَ فِي شَأْنِي وَحْيًا وَلَأَنَا أَحْقَرُ فِي نَفْسِي مِنْ أَنْ يُتَكَلَّمَ بِالْقُرْآنِ فِي أَمْرِي وَلَكِنِّي كُنْتُ أَرْجُو أَنْ يَرَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي النَّوْمِ رُؤْيَا يُبَرِّئُنِي اللَّهُ فَوَاللَّهِ مَا رَامَ مَجْلِسَهُ وَلَا خَرَجَ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الْبَيْتِ حَتَّى أُنْزِلَ عَلَيْهِ الْوَحْيُ فَأَخَذَهُ مَا كَانَ يَأْخُذُهُ مِنْ الْبُرَحَاءِ حَتَّى إِنَّهُ لَيَتَحَدَّرُ مِنْهُ مِثْلُ الْجُمَانِ مِنْ الْعَرَقِ فِي يَوْمٍ شَاتٍ فَلَمَّا سُرِّيَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ يَضْحَكُ فَكَانَ أَوَّلَ كَلِمَةٍ تَكَلَّمَ بِهَا أَنْ قَالَ لِي يَا عَائِشَةُ احْمَدِي اللَّهَ فَقَدْ بَرَّأَكِ اللَّهُ فَقَالَتْ لِي أُمِّي قُومِي إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقُلْتُ لَا وَاللَّهِ لَا أَقُومُ إِلَيْهِ وَلَا أَحْمَدُ إِلَّا اللَّهَ فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ﴾ الْآيَاتِ فَلَمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ هَذَا فِي بَرَاءَتِي قَالَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ وَكَانَ يُنْفِقُ عَلَى مِسْطَحِ بْنِ أُثَاثَةَ لِقَرَابَتِهِ مِنْهُ وَاللَّهِ لَا أُنْفِقُ عَلَى مِسْطَحٍ شَيْئًا أَبَدًا بَعْدَ مَا قَالَ لِعَائِشَةَ فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿وَلا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا إِلَى قَوْلِهِ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ بَلَى وَاللَّهِ إِنِّي لأُحِبُّ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لِي فَرَجَعَ إِلَى مِسْطَحٍ الَّذِي كَانَ يُجْرِي عَلَيْه " [الحديث متفق عليه والرواية للبخاري]

أبو بكر لا يقدّم بين يدي النبي ﷺ برأي أو حكم

انظروا ماذا قال أبو بكر عندما طلبت منه ابنته الأثيرة المتهمة بأبشع تهمة تتهم بها امرأة " قَالَ وَاللَّهِ مَا أَدْرِي مَا أَقُولُ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ " إنه لا يستطيع أن يقدم قولاً بين يدي رسول الله ، ولا يحكم بحكم في وجوده حتى ولو كان هذا الحكم يبرئ فيه ابنته الصديقة بنت الصديق والله لهذا مقام الصديقية الذي لا يفضله إلا مقام النبوة.

أبو بكر ومسطح الذي خاض في عرض عائشة

ثم يأتي الموقف الثاني في هذا الحادث الشائك موقف أبي بكر من مسطح الذي خاض في عرض ابنته زوج النبي ﷺ وكان ينفق عليه فلما استيقن براءة ابنته أقسم ألا ينفق عليه شيئاً فلما أنزل الله تعالى قوله ﴿وَلا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا إِلَى قَوْلِهِ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ بَلَى وَاللَّهِ إِنِّي لأُحِبُّ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لِي فَرَجَعَ إِلَى مِسْطَحٍ الَّذِي كَانَ يُجْرِي عَلَيْه " من هذا الرجل ؟! وما هذا الإيمان ؟! إنه أبو بكر الصديق الذي بلغ إيمانه حق اليقين .

***

خليفة رسول الله

كيف تمت مبايعة أبي بكر بالخلافة ؟

يقول العقاد مبايعة أبي بكر بالخلافة : " كانت تجتمع له شرائط السن، والسبق إلى الإسلام ، وصحبة الرسول في الغار ، والمودة المرعية بين أجلاء الصحابة ، ومعظمهم ممن دخلوا في الدين على يديه .

وكانت إمارات استخلافه ظاهرة من طلائعها الأولى قبل مرض النبي ﷺ بسنوات فكان أول أمير للحج بعث به النبي ﷺ وهو بالمدينة ، وكان ذلك سنة تسع من الهجرة ... وكان قتال بين جماعة من الأوس فذهب النبي ﷺ يصلح بينهم وقال لبلال : إن حضرت الصلاة ولم آت فمر أبا بكر فليصلِّ بالناس .

وأثبت البخاري عن جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ : " أَتَتْ امْرَأَةٌ النَّبِيَّ ﷺ فَأَمَرَهَا أَنْ تَرْجِعَ إِلَيْهِ قَالَتْ أَرَأَيْتَ إِنْ جِئْتُ وَلَمْ أَجِدْكَ كَأَنَّهَا تَقُولُ الْمَوْتَ قَالَ ﷺ إِنْ لَمْ تَجِدِينِي فَأْتِي أَبَا بَكْرٍ "

وهذه أمارات مشهودة متفق عليها ، وغيرها أمارات شتى بعضها أصرح وبعضها أحوج إلى التأويل ، لا ضرورة لاستقصائها لأنها لا تبلغ في الجزم والتوكيد مبلغ ما قدمناه ... ويغلب على اعتقادنا أنه ﷺ ترك أمر الخلافة بغير وصيَّة ظاهرة لأنه علم أن الخلافة منتهية إلى مثل ما انتهت إليه ، ولا سيما بعد تقديمه أبا بكر للصلاة بالناس . ونص على

قريش ولم يتجاوز ذلك لأنه على أن قريشاً تتفق على مثل ما اتفقت عليه ، وان الخلاف إنما يجيء – إن جاء – من جانب الأنصار أهل المدينة . فالحاجة ماسَّة إلى هذا التخصيص لدفع الخلاف المنظور ، ومع هذا التخصيص اللازم لدفع المنظور ، ومغ هذا التخصيص اللازم وصيَّة مكررة بإكرام الأنصار أوصى بها المسلمين بعده ، وهي وصية معناها الواضح في هذا المقام أنه ﷺ كان يترقب أن تَؤُول الخلافة إلى المهاجرين فهم الذين تتجه إليهم الوصيَّة بإكرام مثوى إخوانهم الأنصار، ولولا ذلك لما اتَّجهت الوصية لفريق منهما دون فريق .

ونقول إن النبي ﷺ علم بمصير الخلافة على الوجه الذي صارت إليه لأننا لا نستطيع أن نفهم أنه ﷺ ترك هذه المسألة وهو يتوقع فيها الفشل والفتنة ولم يُبْرم فيها حُكْماً يدفعهما به ما استطاع .

فإذا انحصرت الخلافة يومئذ في قريش فهي صائرة إلى أبي بكر دون غيره ولا حاجة إلى تدبير لن يغيِّر مصير الأمور .

وإلا فكيف كانت الخلافة صائرة إلى غير ما صارت إليه وهي محصورة يومئذ في قريش ؟

وإلى من كانت تصير ؟

إن الذين تولُّوها بعد أبي بكر من صحابة النبي ﷺ هم عمر وعثمان وعلي ومعاوية فأي هؤلاء كان أظهر حقاً وأقرب طريقاً وأدنى من الصديق إلى اتفاق المسلمين عليه ؟.... ومصلحة المسلمين في ولايته راجحة في كل حساب لأن المسلمين كانوا يومئذ أحوج إلى عهد يكون امتداداً لعهد النبي ﷺ حتى يحين وقت التوسع والتصرف ، وأحوج إلى ألفة غير مخشية تعوضهم عن طاعة للنبي ﷺ بتعاونهم على النصيحة والمودة . وكل أولئك ميسور لأبي بكر قبل تيسره لغيره من جِلَّة

الصحابة الأقربين . فهو في حرص شديد على الاقتداء بالنبي حرفاً حرفاً وخطوة خطوة لن يكون عهده إلا امتداداً للعهد النبوي حتى تتغير الأحوال فتأذن بالتغيير ، وهو في ألفته واجتماع القلوب إليه خير من يخلف الطاعة بالمودة ، ويعالج الفرقة والانقسام بالرفق والتؤدة . فإن جدَّ ما يدعو إلى التصرف أو يدعو إلى الشدة فهناك الأعوان المخلصون له وللدين ، وهناك المشيرون الذين يُقَلِّبُون الرأي على جميع الوجوه : فضله مع قوتهم وقوته مع فضلهم ، نِعْم العون ونعم الكفيل باجتماع أسباب الحول والحيلة .

ثم حانت الساعة التي تهيأت لها مشيئة القدر وتهيأت لها مشيئة الناس على ذلك النحو المستقيم .

فتمَّ في يوم واحد كلُّ ما ينبغي أن يتم في يوم .

ولاح للوهلة الأولى أن الخطر عظيم وأنه موشك أن يعصف بكلِّ شيء وأن يخرج على كل سواء .

إذ اجتمع الأنصار يتحدثون بحقهم في الخلافة دون المهاجرين ، وهمَّت الفتنة أن تنطلق بغير عنان في طريق لا تُعرف عقباه ، ولكنها فتنة مكبوحة قُدِّر لها ألا تقوى على الانطلاق من باب السقيفة التي نَجَمت فيها .

فكان سعد بن عبادة زعيم القوم مريضاً لا تؤاتيه في ذلك اليوم حركة النفس التي لا غنى عنها في ذلك المقام ؛ لأنها تعدي بالهيبة والثقة من يستمعون إليه . فحملوه من بيته إلى السقيفة وهو لا يملك زمام عزمه ولا يقدر على الكلام ، فجعل يخاطبهم بلسان القريبين منه وجعلوا يصغون إليه إصغاءهم إلى مريض يشعرون بضعفه لا زعيم يشعرون بقوته وبأسه .

وكان القوم فريقين متنافسين منذ زمن قديم ، وهم الخزرج والأوس وبينهما ملاحاة دائمة تَهُون معها كل ملاحاة بين الأنصار والمهاجرين.

وكانت يقظة عمر وأصحابه أسرع من فتنة القوم . فبلغوا السقيفة في إبانها وعالجوا الأمر حق علاجه ، وقال كل منهم كلمة كانت أنفذ من سهم وأقهر من جيش . قال أبو بكر : " إن هذا الأمر إن تولته الأوس نَفَسَتْه عليهم الخزرج ، وإن تولته الخزرج نفسته عليهم الأوس ، ولا تدين العرب لغير هذا الحي من قريش ... نحن الأمراء وأنتم الوزراء لا تفتاتون بمشورة ولا تقضى دونكم الأمور ، وقال عمر : إن العرب لا تمتنع أن تولي أمرها من كانت النبوة فيهم وولي أمورهم منهم ، وقال أبو عبيدة : يا معشر الأنصار كنتم أول من نصر وآزر فلا تكونوا أول من بدَّل وغيَّر .

ونادى أبو بكر القوم : هذا غمر وهذا أبو عبيدة فأيهما شئتم فبايعوا . فقال عمر وقال أبو عبيدة مثل مقالته : لا والله لا نتولى هذا الأمر عليك . فإنك أفضل المهاجرين ، وثاني اثنين إذ هما في الغار ، وخليفة رسول الله على الصلاة ، والصلاة أفضل دين المسلمين ، فمن ذا الذي ينبغي له أن يتقدمك أو يتولى هذا الأمر عليك .

ابسط يدك نبايعك ." (١)

لم يكن أبو بكر الصديق حين قَبِل الخلافة طامعاً فيها إنما أرغمه الظرف الطارئ على قبولها على كره منه ؛ فقد حُمِّل أمانة ما كان أحد ليقوم بها سواه .

فعن ربيعة . أحد الصّحابة . قال: قلت لأبي بكر " ما حملك على أن تلي أمر النّاس، وقد نهيتني أن أتأمر على اثنين؟ قال: لم أجد من ذلك

---

(١) لمزيد من التفاصيل حول بيعة أبي بكر انظر عباس محمود العقاد " عبقرية الصديق " دار الكتاب اللبناني فصل " الصِّدِّيق الأوَّل والخليفة الأوَّل " .

بُدّاً؛ خشيت على أمّة محمّد الفرقة ". وفي رواية: " تخوفت أن تكون فتنة، تكون بعدها ردّة ".

رأي عمر في بيعة أبي بكر

روى الشيخان أن عمر بن الخطاب خطب الناس مرجعه من الحج فقال في خطبته : " ... إِنَّهُ بَلَغَنِي أَنَّ قَائِلا مِنْكُمْ يَقُولُ وَاللَّهِ لَوْ قَدْ مَاتَ عُمَرُ بَايَعْتُ فُلانًا فَلا يَغْتَرَّنَّ امْرُؤٌ أَنْ يَقُولَ إِنَّمَا كَانَتْ بَيْعَةُ أَبِي بَكْرٍ فَلْتَةً وَتَمَّتْ أَلا وَإِنَّهَا قَدْ كَانَتْ كَذَلِكَ وَلَكِنَّ اللَّهَ وَقَى شَرَّهَا وَلَيْسَ مِنْكُمْ مَنْ تُقْطَعُ الأَعْنَاقُ إِلَيْهِ مِثْلُ أَبِي بَكْرٍ ... "

ثم حكى عمر ما كان في سقيفة بني ساعدة ثم قال : " فَقُلْتُ ابْسُطْ يَدَكَ يَا أَبَا بَكْرٍ فَبَسَطَ يَدَهُ فَبَايَعْتُهُ وَبَايَعَهُ الْمُهَاجِرُونَ ثُمَّ بَايَعَتْهُ الأَنْصَارُ وَنَزَوْنَا عَلَى سَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ فَقَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ قَتَلْتُمْ سَعْدَ بْنَ عُبَادَةَ فَقُلْتُ قَتَلَ اللَّهُ سَعْدَ بْنَ عُبَادَةَ قَالَ عُمَرُ وَإِنَّا وَاللَّهِ مَا وَجَدْنَا فِيمَا حَضَرْنَا مِنْ أَمْرٍ أَقْوَى مِنْ مُبَايَعَةِ أَبِي بَكْرٍ خَشِينَا إِنْ فَارَقْنَا الْقَوْمَ وَلَمْ تَكُنْ بَيْعَةٌ أَنْ يُبَايِعُوا رَجُلا مِنْهُمْ بَعْدَنَا فَإِمَّا بَايَعْنَاهُمْ عَلَى مَا لا نَرْضَى وَإِمَّا نُخَالِفُهُمْ فَيَكُونُ فَسَادٌ فَمَنْ بَايَعَ رَجُلًا عَلَى غَيْرِ مَشُورَةٍ مِنْ الْمُسْلِمِينَ فَلا يُتَابَعُ هُوَ وَلا الَّذِي بَايَعَهُ تَغِرَّةً أَنْ يُقْتَلا " [صحيح البخاري]

وعن قول عمر : " إِنَّمَا كَانَتْ بَيْعَةُ أَبِي بَكْرٍ فَلْتَةً " قال أبو عبيد : معنى الفلتة الفجأة ، وإنما كانت كذلك ، لأنها لم ينتظر بها العوام ، وإنما ابتدرها أكابر أصحاب محمد من المهاجرين وعامة الأنصار .. أنه ليس لأبى بكر منازع ، ولا شريك في الفضل ، ولم يكن يحتاج في أمره إلى نظر ولا مشاورة فلهذا كانت فلتة وقى الله بها الإسلام وأهله شرها .

وقال ابن الأثير: أراد بالفلتة الفجأة، ومثل هذه البيعة جديرة بأن تكون مهيجة للشر والفتنة، فعصم الله من ذلك ووقى. والفتلية: كل شيء فعل من غير روية، وإنما بودر بها خوف انتشار الأمر.

ولم يكتف أبو بكر بهذه البيعة الخاصة إنما عرض نفسه على الناس في بيعة عامة فبايعوه جميعاً ، وسيأتي ذكر هذه البيعة العامة بعد ذكر نظام الحكم في المدينة على عهد رسول الله وقبل بيعة أبي بكر .

أخرج أحمد عن أبي بكر بن أبي قال : قيل لأبي بكر : يا خليفة الله قال أنا خليفة رسول الله ﷺ وأنا راضي به .

راتب أبي بكر بعد توليه الخلافة

كان أبو بكر أول خليفة فرض له رعيته العطاء من بيت مال المسلمين ليترك عمله ويتفرغ لإدارة شئون المسلمين .

قالت السيدة عائشة : " لما استخلف أبو بكر قال : لقد علم قومي أن حرفتي لم تكن تعجز عن مئونة أهلي وشغلت بأمر المسلمين فسيأكل آل أبي بكر من هذا المال ويحترف للمسلمين " [صحيح البخاري]

وأخرج ابن سعد عن عطاء بن السائب قال : لما رجع أبو بكر أصبح وعلى ساعده أبراد وهو ذاهب إلى السوق فقال عمر : أين أطعم عيالي ؟ فقال : انطلق يفرض لك أبو عبيدة فانطلقا إلى أبي عبيدة فقال: أفرض لك قوت رجل من المهاجرين ليس بأفضلهم ولا أوكسهم وكسوة الشتاء والصيف إذا أخلقت شيئا رددته وأخذت غيره ففرضنا له كل يوم نصف شاة وما كساه في الرأس والبطن " .

وعن ميمون الجزري والد عمرو قال : " لما استُخْلِفَ أبو بكرٍ جعلوا له ألفيْنِ ، قال : زِيدُوني فإنَّ لي عيالًا ، وقد شغلتُموني عن التجارةِ ، فزادوه خمسمائةٍ " [صححه ابن حجر العسقلاني]

دستور حكم النبي ﷺ في المدينة

كان النبي ﷺ منذ وطئت قدمه الشريفة المدينة المنورة هو الحاكم للمدينة ولقد عقد دستوراً مع اليهود سكان المدينة يُعَدُّ أول وثيقة مواطنة تتساوى فيها الحقوق والواجبات لكلِّ سكان البلد من غير اعتبار للدين أو الجنس أو اللون وتحقيق العدالة والمساواة في الحقوق والواجبات بين المسلمين وغير المسلمين في الدولة الإسلامية إعمالاً للقاعدة الإسلامية (لهم ما لنا وعليهم ما علينا)

وينقل الإمام القرافي عن الإمام ابن حزم إجماعاً للمسلمين لا تجد له نظيراً عند أمة من الأمم، فيقول: "من كان في الذمة، وجاء أهل الحرب إلى بلادنا يقصدونه، وجب علينا أن نخرج لقتالهم بالكراع والسلاح، ونموت دون ذلك، صوناً لمن هو في ذمة الله تعالى وذمة رسوله صلى الله عليه وسلم، فإن تسليمه دون ذلك إهمال لعقد الذمة".

" لهم ما لنا وعليهم ما علينا " وكان النبي ﷺ يحكم بين الناس بما أراه الله تعالى ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيمًا﴾ [النساء:١٠٥]

وفي سبب نزول هذه الآية ما يؤكد قاعدة لهم ما لنا وعليهم ما علينا

ذكر المفسرون في سبب نزول هذه الآيات روايات مختلفة السياق إلا أنها متقاربة المعاني . ومن ذلك ما ذكره صاحب الكشاف من أن رجلاً اسمه طعمة بن أبيرق – أحد بني ظفر – سرق درعاً من جار له اسمه قتادة ابن النعمان في جراب دقيق . فجعل الدقيق ينتثر من خرق فيه . وخبأ طعمة الدرع عند رجل من اليهود اسمه زيد بن السمين .

فالتمست الدرع عند طعمة فلم توجد وحلف ما أخذها ، وماله بها علم، فتركوه واتبعوه أثر الدقيق حتى انتهى إلى منزل اليهودي فأخذوها .

فقال اليهودي : دفعها إلى طعمة وشهد له ناس من اليهود . فقالت بنو ظفر – أقرب طعمة – : انطلقوا بنا إلى رسول الله ﷺ فلما وصلوا إليه سألوه أن يجادل – أي يدافع – عن صاحبهم طعمة وقالوا : إن لم تفعل هلك وافتضح وبرئ اليهودي . فَهَمَّ رسول الله ﷺ أن يفعل وأن يعاقب اليهودي . وقيل هم أن يقطع يده فنزلت .

وهذه الآيات الكريمة وإن كانت قد نزلت في حادثة معينة ، إلا أن توجيهاتها وأحكامها تتناول جميع المُكَلَّفين في كلِّ زمان ومكان .

والمعنى الاصطلاحي للسياسة حتى اليوم يتفق وتدبير أمور الرعية في الداخل والخارج إلا أن اللفظ اتخذ في الإسلام طابعاً دينيّاً ، إذ أن الرسول ﷺ لم يكن صاحب رسالة دينية فقط إنما كان رئيسا للجماعة الإسلامية الناشئة، التي وضع أساسها بمقتضى الصحيفة التي آخى فيها بين المهاجرين والأنصار، والتي يمكن أن يطلق عليها "دستور المدينة" إذ تضمنت تنظيماً واضحاً للعلاقات بين أعضاء المجتمع الإسلامي ، بينهم ورياسة هذه الجماعة، وبينهم وبين من يخالفونهم في الدين.

وتعتبر الصحيفة نقلة نوعية من المنظور السياسي ، حيث تضمنت من المعاني عناصر بالغة الدلالة من حيث العلاقات الدولية، فقد تضمنت إطاراً لدول متعاونة على كل ما عرف خيره تتحمل مسئوليتها فرادى وجماعات في عمارة الأرض وعدم الإفساد وأنه لا إكراه في الدين، وبرّ من يخالفنا ما لم يعتد علينا في ديارنا أو ديننا، وأن الخلق كلهم عيال الله ، وأن الحوار والتفاوض في السياسة أمران واردان.

وجاء ذلك في إطار ما حفل به القرآن الكريم من معان سامية ينبغي أن تسود البشر لإصلاح أمورهم في دنياهم وأخراهم ، بما في ذلك

تأكيده على قيم العدل والمساواة والتعاون والسلام بين البشر –وهى قيم ينبغي أن تكون لها السيادة في العلاقات السياسية الدولية– أتى بها الإسلام وسبق غيره بقرون عديدة.

ويعتبر الإسلام أن السلام هو السياسة الإسلامية الأصيلة التي تمارس داخل المجتمع الإسلامي في علاقاته مع مخالفيه وهو يفرق في هذا الصدد بين الذين يسالمون المسلمين والذين يقاتلونهم ، والاختلاف ليس سبيلاً للحرب بل إنه كامن في طبيعة الحياة، والسلام لا يعنى الاستسلام للمعتدين ، وحتى في حالة الحرب فلها سياستها وآدابها، والإسلام يدعو إلى التعايش والحوار كمنهاج لممارسة السياسة، وفى ظلها تنمو العلاقات السياسية والاقتصادية وغيرها من أوجه العلاقات التي تتم في إطار السياسة الدولية.

وقد عرف النظام الإسلامي أسلوب كتابة المعاهدات ، ولقد كان إنشاء الدولة الإسلامية في المدينة، وامتداد نفوذها بالتدريج في معظم أجزاء شبه جزيرة العرب في حياة الرسول ﷺ ثمرة مجهودات كبيرة حربية وتشريعية وسياسية، وكانت حصيلة النشاط السياسي والدبلوماسي مجموعة كبيرة من الرسائل والصكوك والمعاهدات التي تحدد العلاقات السياسية على أسانيدها من القرآن والسنة النبوية. (١)

دستور الحكم في عهد أبي بكر

أرسى النبي ﷺ قواعد السياسة الشرعية ونفذها بكلِّ دقَّة فما كان فيه نصوص دينية قطعية الثبوت والدلالة أنفذه ، ومكان يحتاج إلى مشورة شاور فيه أهل الشورى فلما جاء أبو بكر أول خليفة بعد رسول الله فما كان ليخالف الرسول وهو الصدِّيق .

(١) السفير/نبيل محمد بدر نقلا عن موقع وزارة الأوقاف المصرية على الإنترنت .

فلَمَّا بويع أبو بكر في السّقيفة، وكان الغدُ، صعد أبو بكر المنبر فحمد الله، وأثنى عليه بما هو أهله. ثم قال: " أمّا بعد؛ أيّها النّاس، فإنّي قد وُلِّيتُ عليكم ولستُ بخيركم، فإن أحسنتُ فأعينوني، وإن أسأتُ فقوِّموني. الصّدق أمانة، والكذب خيانة. والضّعيف فيكم قويّ عندي حتى أريح عليه حقّه إن شاء الله والقويّ فيكم ضعيف، حتى آخذ الحقّ منه إن شاء الله .

لا يَدَعُ قومٌ الجهادَ في سبيل الله إلاّ ضربهم الله بالذّلّ، ولا تشيع الفاحشة في قومٍ قط إلاّ عمّهم الله بالبلاء. أطيعوني ما أطعتُ الله ورسوله، فإذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم ".

ومن يقرأ خطبة الخليفة الراشد الأول أبي بكر الصديق ، يجد فيها مبادئ دستور الحكم المبنية على أسس البناء العادل في النظام الإسلامي، وهي الطاعة للحاكم ما دام ملتزماً بالشريعة الإسلامية ونصوص هذا التعاقد، فإن خالف الحاكم نصوص هذا التعاقد وجب على الأمة إجراء التقويم المطلوب للحاكم عما خالف وشذ عنه.

وهذا العقد استشفه الصديق من روح الإسلام في تحديد سلطات الأمة والحاكم.

ولهذا نرى ما جاء في هذا الميثاق الذي طرحه الصديق الخليفة الأول، ووافقت عليه الأمة التالي:

١- القرآن الكريم والسنة مصدر التشريع والدستور الناظم للدولة، وتجري محاسبة الخليفة عند مخالفتهما أو تجاوزهما من قبل الأمة أو ممثليها من أهل الحل والعقد، حيث يفقد الطاعة الشرعية، وهذا ما نص عليه البيان: "أطيعوني ما أطعت الله ورسوله، فإذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم.."

٢- ممثلو الأمة هم الذين يختارون الخليفة وهم أهل الاختيار وهم من فقهاء الأمة وعلمائها.

٣- الأمة مصدر السلطة وتملك سلطة المحاسبة والعزل، وتمت الإشارة إليها في الكلمة بقوله: " فإن أحسنت فأعينوني، وأن أسأت فقوموني" .

٤- أن يكون الحاكم صادقاً مع أمته، وإن كذب عليها فقد خانها "الصدق أمانة، والكذب خيانة".

٥- المساواة والإنصاف بين الجميع دون النظر للضعف والقوة "الضعيف فيكم قوي عندي حتى أريح عليه حقه إن شاء الله، والقوي منكم ضعيف عندي حتى آخذ الحق منه إن شاء الله".

٦- الحاكم بشر كأي فرد من أفراد الأمة، وليس معصوماً عن الخطأ، لذا لا بد من التصحيح له في حال وقوعه في الخطأ "أيها الناس أنا مثلكم، وإني لا أدري لعلكم ستكلفونني ما كان رسول الله يطيق، إن الله اصطفى محمداً على العالمين، وعصمه من الآفات، فإنما أنا متبع، ولست بمبتدع، فإن استقمت فاتبعوني، وإن زغت فقوموني" .

***

أهم أعمال خليفة رسول الله

عندما تولى أبو بكر الخلافة كانت دولة الإسلام قد تمَّ تأسيسها على يد النبي في المدينة المنورة دولة لها حدود ودستور وأهل شورى وقضاء وجيش وسفراء وحروب ومعاهدات ، وكان لأبي بكر الصديق دور عظيم في حياة النبي وبعده في تأسيس دولة الإسلام وفي ذلك يقول العقاد : " ولم يزل في كل أعماله منذ أن أسلم إلى أن تولى الخلافة مؤسساً لهذا البناء الشامخ الذي كان هو أول من قام عليه بعد بانيه . فالدعوة الصريحة إلى الإسلام في المسجد بمسمع قريش ، والهجرة مع النبي من داره ، وبذل المال في البعوث وغير البعوث ، وتيسير القدوة للمقتدين بإسراعه إلى التلبية والتصديق كلما التبس الأمر واضطربت الأفكار ، ومحاربته قريشاً بعلمه واطلاعه على الأنساب كما حاربهم بماله وسلاحه ومشورته ورأيه – بل كل ما عمل منذ أسلم إلى أن تولى الخلافة ، فهو في جملته ركن من أركان الدولة الإسلامية يجعله بالحق مؤسساً لها مشاركاً في بنائها ، بسلطان العقيدة قبل سلطان الحكومة والكلمة .

ثم كانت البيعة بالخلافة ..

وكانت بعثة أسامة بن زيد ، وكانت حروب الردة ، وكانت بعوث العراق والشام ، فقام على هذه المآثر الثلاث التي لا يقضي حقها من الإكبار كل ما قام بعد ذلك من بناء ." [1]

(١)عباس محمود العقاد " عبقرية الصديق " مرجع سابق ص ٢٩٥ ، ٢٩٦ .

قصة الردة

توفي النبي ﷺ وكان هناك كثير من الأعراب الذين قالوا آمنا ولمَّا يدخل الإيمان في قلوبهم ﴿قَالَتِ الأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِنْ تُطِيعُوا اللهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [الحجرات:١٤] فظن كثير من هؤلاء الأعراب إن بموت النبي ﷺ انفرط عقد الإسلام فارتدوا ظناً منهم إنه لم يعد للإسلام قوة تحميه ، ولكن الله تعالى لم يكن لضيع الدين الذي ارتضاه للناس فقيض أبو بكر ليئد هذه الفتنة العظيمة كما وأد فتنة اختيار الخليفة الأول .

وفي الصّحيح عن أبي هريرة قال: " لَمّا تُوُفِّي رسول الله ﷺ وكان أبو بكر، وكفر مَن كفر من العرب، قال عمر لأبي بكر: كيف تقاتل النّاسَ، وقد قال رسول الله ﷺ : أُمِرْتُ أن أقاتل النّاسَ حتى يقولوا: لا إله إلاّ الله، فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم، إلاّ بحقّها؟ فقال أبو بكر: فإنّ الزّكاة من حقّها. والله لأقاتلَنَّ مَن فرّق بين الصّلاة والزّكاة، والله لو منعوني عنَاقاً كانوا يؤدّونها إلى رسول الله ﷺ لقاتلتهم على منعها. قال عمر: فما هو إلاّ أن رأيتُ الله قد شرح صدر أبي بكر للقتال، فعرفتُ أنّه الحقّ. قال عمر: والله لرجح إيمان أبي بكر بإيمان هذه الأمّة جميعاً في قتال أهل الرّدّة ".

وذكر يعقوب بن سعيد بن عبيد، ومحمّد بن مسلم بن شهاب الزّهري عن جماعة قالوا: " كان أبو بكر أمير الشّاكرين: الذين ثبتوا على دينهم وأمير الصّابرين: الذين صبروا على جهاد عدوّهم ـ وهم أهل الرّدّة ـ وذلك: أنّ العرب افترقت في ردّتها، فقالت فرقة: لو كان نبيّاً ما مات، وقالت فرقة: انقضت النّبوّة بموته فلا نطيع أحداً بعده. وفي ذلك يقول قائلهم:

أطعنا رسولَ الله ما كان بيننا ... فيا لعباد الله، ما لأبي بكر؟
أيورثها بكراً إذا مات بعده ... فتلك لعمر الله قاصمة الظّهر

وقالت فرقة: نؤمن بالله. وقال بعضهم: نؤمن بالله، ونشهد أنّ محمّداً رسول الله، ولكن لا نعطيكم أموالنا.

فجادل الصّحابة أبا بكر وقالوا: احبس جيش أُسامة، فيكون أماناً بالمدينة، وأُرفق بالعرب حتى يتفرج هذا الأمر. فلو أنّ طائفة ارتدّت، قلنا: قاتل بِمَن معك مَن ارتدّ. وقد أصفقت العرب على الارتداد. وقدم على أبي بكر عيينة بن حصن، والأقرع بن حابس في رجالٍ من أشراف العرب، فدخلوا على رجالٍ من المهاجرين، فقالوا: إنّه قد ارتدّ عامة من وراءنا عن الإسلام، وليس في أنفسهم أن يؤدّوا إليكم

ما كانوا يؤدّونه إلى رسول الله ﷺ فإن تجعلوا لنا جُعلاً كفيناكم. فدخل الصّحابة على أبي بكر، فعرضوا عليه ذلك. وقالوا: نرى أن تطعم الأقرع وعيينة طُعْمةً يرضيان بها، ويكفيانك مَن وراءهما، حتى يرجع إلينا أُسامة وجيشه، ويشتدّ أمرك، فإنّا اليوم قليل في كثيرٍ.

فقال أبو بكر: فهل ترون غير ذلك؟

فقالوا: لا.

قال: قد علمتم أنَّ مَن عهد نبيّكم إليكم: المشورة فيما لم يمض فيه أمر من نبيّكم، ولا نزل به الكتاب عليكم، وأنا رجل منكم، تنظرون فيما أشير به عليكم. وإنّ الله لن يجمعكم على ضلالةٍ؛ فتجتمعون على الرّشد في ذلك.

فأمّا أنا: فأرى أن ننبذ إلى عدوّنا، فمَن شاء فليؤمن ومَن شاء فليكفر، وألاَّ ترشون على الإسلام، فنجاهد عدوّه كما جاهدهم. والله لو منعوني

عقالاً لرأيت أن أجاهدهم عليه حتى آخذه. وأما قدوم عيينة وأصحابه إليكم فهذا أمر لم يغب عنه عيينة، هو راضيه، ثم جاءوا له. ولو رأوا ذباب السّيف لعادوا إلى ما خرجوا منه، أو أفناهم السّيف، فإلى النّار. قتلناهم على حقّ منعوه وكفر اتّبعوه، فبان للنّاس أمرهم.

فقالوا له: أنتَ أفضلنا رأياً، ورأينا لرأيك تبع.

فأمر أبو بكر النّاس بالتّجهّز، وأجمع على المسير بنفسه."

أي رجل يمكن أن يتخذ مثل هذا القرار الخطير بل في غاية الخطورة ينفذ جيش أسامة وفيه خير جنود المسلمين في الوقت الذي ارتدَّ فيه معظم العرب ، ويرفض أن يهادنهم حتى تمرَّ العاصفة إنه حق اليقين في الله تعالى ومنزلة الصديقية التي لم يبلغها سوى الصديق .

قتال أهل الردة

ولَمّا كان من العرب ما كان، ومنع مَن منع منهم الصّدقة، جد بأبي بكر الجد في قتالهم، وأراه الله رشده فيهم، وعزم على الخروج بنفسه، فخرج في مائة من المهاجرين والأنصار، وخالد يحمل اللّواء، حتى نزل بقعاء، يريد أن يتلاحق النّاس، ويكون أسرع لخروجهم، ووكل بالنّاس محمّد بن مسلمة يستحثّهم، وأقام ببقعاء ينتظر النّاس، ولم يبقَ أحد من المهاجرين والأنصار إلاّ خرج.

فقال عمر: " ارجع يا خليفة رسول الله، تكن للمسلمين فئة، فإنّك إن تقتل يرتدّ النّاس، ويعلو الباطلُ الحقَّ ".

فدعا زيد بن الخطاب ليستخلفه، فقال: قد كنتُ أرجو أن أرزق الشّهادة مع رسول الله ﷺ فلم أرزقها، وأنا أرجو أن أرزقها في هذا الوجه. وإنّ أمير الجيش لا ينبغي أن يباشر القتال بنفسه.

فدعا أبا حذيفة بن عتبة، فعرض عليه ذلك، فقال مثلما قال زيد. فدعا سالماً مولى أبي حذيفة، فأبى عليه. فدعا خالداً فأمّره على النّاس، وكتب معه هذا الكتاب:

" بسم الله الرّحمن الرّحيم.

هذا ما عهد أبو بكر خليفة رسول الله ﷺ إلى خالد بن الوليد، حين بعثه لقتال مَن رجع عن الإسلام إلى ضلالة الجاهلية، وأماني الشّيطان. وأمره: أن يبيّن لهم الذي لهم في الإسلام والذي عليهم. ويحرص على هداهم. فمَن أجابه قبل منه، وإنّما يقاتل مَن كفر بالله على الإيمان بالله. فإذا أجاب إلى الإيمان، وصدق إيمانه لم يكن له عليه سبيل. وكان الله حسيبه بعد في عمله، ولا يقبل من أحدٍ شيئاً أعطاه إيّاه إلاّ الإسلام، والدّخول فيه، والصّبر به وعليه، ولا يدخل في أصحابه حشوا من النّاس، حتى يعرف علامَ اتبعوه، وقاتلوا معه؟ فإنّي أخشى أن يكون معكم ناس يتعوذون بكم، ليسوا منكم، ولا على دينكم، فيكونون عوناً عليكم. وأرفق بالمسلمين في مسيرهم ومنازلهم، وتفقّدهم، ولا تُعَجِّل بعض النّاس عن بعضٍ في المسير، ولا في الارتحال، واستوص بِمَن معك من الأنصار خيراً؛ فإنّ فيهم ضيقاً ومرارة وزَعارة، ولهم حقّ وفضيلة وسابقة ووصية من رسول الله ﷺ. فاقبل من محسنهم وتجاوز عن مسيئهم" .

وعن عروة بن الزّبير قال: " جعل أبو بكر يوصي خالداً، ويقول: عليك بتقوى الله، والرّفق بِمَن معك؛ فإنّ معك أهل السّابقة من المهاجرين والأنصار. فشاورهم، ثم لا تخالفهم. وقدم أمامك الطّلائع تَرْتَدْ لك المنازل، وسِرْ في أصحابك على تعبئةٍ جيّدةٍ؛ فإن أعطاك الله الظّفر على أهل اليمامة، فأقِلَّ البُقْيا عليهم ـ إن شاء الله ـ وإيّاك أن تلقاني غداً بما يضيق به صدري منك. اسمع عهدي ووصيّتي، ولا تُغِيرن على دار سمعت فيا أذاناً، حتى تعلم ما هم عليه .

واعلم أنّ الله يعلم من سريرتك ما يعلم من علانيتك. واعلم أنّ رعيتك تعمل بما تراك تعمل .

تعاهد جيشك، وانْهَهُم عما لا يصلح لهم. فإنّما تقاتلون مَن تقاتلون بأعمالكم، وبهذا نرجو لكم النّصر على أعدائكم، سِر على بركة الله تعالى ."

ووأد أبو بكر بقوة إيمانه ومضاء عزمه فتنة الردة وعاد العرب إلى الإسلام ولمَّ أبو بكر شعث جزيرة العرب، وما كان دهى من أمر أهلها، وعاد الحق إلى نصابه، جهز الجيوش يمنة ويسرة إلى العراق أصحاب كسرى ملك الفرس، وإلى الشام أصحاب قيصر ملك الروم، ففتح الله لهم ومكَّن لهم وبهم، وملكهم نواصي أعدائهم.

إنفاذ جيش أسامة

رغم فتنة المرتدين وخطر ذلك على دولة الإسلام الوليدة إلا أن أبا بكر أبى إلا أن ينفذ جيش أسامة الذي أعدَّه النبي ﷺ .

عسكر أُسامة بن زيد بجيشه في الجرف، الذي كان بمثابة قاعدة عسكرية للمسلمين وبخاصّة للجيوش المنطلقة إلى شمال المدينة.

وبلغ الاهتمام من رسول الله ﷺ لبعث تلك السرية، أنّه صار يُردد وهو في الرمق الأخير " انفذوا جيش أُسامة، انفذوا جيش أُسامة " .

وذلك يدل على الأهمية القصوى، والاستراتيجية التي كان يُمَثِّلها إرسال ذلك الجيش بالنسبة للمسلمين، وهو الأمر الذي حدا بالصّدِّيق رغم المخاطر التي كانت تُحيط بالمسلمين داخلياً وخارجياً، أن يُسارع في بعث السرية، ويُصرّ على ذلك رغم معارضة كبار الصحابة له.

وتوفي النبي ﷺ وأسامة معسكرٌ بجيشه في الجرف، وذُهِل المسلمون في المدينة.

"ودخل المسلمون الذين عسكروا بالجرف إلى المدينة، ودخل بريدة بن الحصيب بلواء أُسامة معقوداً حتّى أتى باب رسول فغرزه عنده فلمّا بويع لأبي بكر أمر بريدة أن يذهب باللواء إلى بيت أُسامة، وألاّ يُحِلَّه أبداً حتّى يغزوهم أُسامة"

ودخل قائد الجيش على الخليفة أبي بكر الصّدِّيق فقال: "إنّ رسول الله ﷺ بعثني وأنا على غير حالكم هذه، وأنا أتخوَّف أن تكفر العرب، فإن كفرت كانوا أوّل من يُقاتَل، وإن لم تكفر مضيت، فإنّ معي سروات النّاس وخيارهم".

وكما توقّع القائد الذّكيّ، فما أن سَمِع الناس بوفاة النّبيّ ﷺ حتّى:

ارتدّت العرب إمّا عامّة وإمّا خاصّة في كلّ قبيلة، ونجم النفاق، واشرأبت اليهود والنصارى، والمسلمون كالغنم الشاتية لفقد نبيّهم ﷺ وقلّتهم، وكثرة عدوّهم .

واجتمع كبار أصحاب رسول الله ﷺ إلى الخليفة فقالوا:

"يا خليفة رسول الله! إنّ العرب قد انتقضت عليك من كلّ جانب، وإنّك لا تصنع بتفريق هذا الجيش المنتشر شيئاً، اجعلهم عدّة لأهل الردّة، ترمي بهم في نحورهم! وأخرى، لا نأمن على أهل المدينة أن يُغار عليها وفيها الذراري والنساء، فلو استأنيت لغزو الروم حتّى يضرب الإسلام بجرانه١، وتعود الرّدّة إلى ما خرجوا منه أو يفنيهم السيف، ثُمَّ تبعث أُسامة حينئذٍ فنحن نأمن الروم أن تزحف إلينا، فلمّا استوعب أبو بكر رضي الله عنه كلامهم، قال: هل منكم أحدٌ يريد أن يقول شيئاً؟ قالوا: لا. قد سمعت مقالتنا. فقال: والذي نفسي بيده، لو ظننت أنّ السباع تأكلني بالمدينة لأنفذت هذا البعث، ولا بدأت بأوّل منه، ورسول الله صلى الله عليه وسلم ينْزل عليه الوحي من السماء يقول: أنفذوا

جيش أُسامة! ولكن خصلة أُكَلِّم أُسامة في عمر يخلفه يقيم عندنا، فإنّه لا غناء بنا عنه. والله ما أدري يفعل أُسامة أم لا، والله إن رأى لا أُكْرِهُهُ! فعرف القوم أنّ أبا بكر قد عزم على إنفاذ بعث أُسامة، ومشى أبو بكر إلى أُسامة في بيته وكلّمه أن يترك عمر، ففعل أُسامة، وجعل يقول له: أذنت ونفسك طيبة؟ فقال أُسامة: نعم. وخرج وأمر مناديه ينادي: عزمة مني ألاّ يتخلّف عن أُسامة من بَعْثِه من كان انتدب معه في حياة رسول الله ﷺ فإنّي لن أوتى بأحدٍ أبطأ عن الخروج معه إلاّ ألحقته به ماشياً .

واجتمع من حول المدينة من القبائل التي غابت في عام الحديبية، وخرجوا، وخرج أهل المدينة في جند أُسامة، فحبس أبو بكر مَن بقي من تلك القبائل التي كانت لهم الهجرة في ديارهم، فصاروا مسالح حول قبائلهم وهم قليل".

وتوجَّه الخليفة الصّدِّيق نحو معسكر الجيش حتّى أتاهم فأشخصهم وشيَّعهم وهو ماشٍ وأُسامة راكب، وعبد الرحمن بن عوف يقود دابّة أبي بكر، فقال له أُسامة: يا خليفة رسول الله، والله لتركبن أو لأنزلنّ! فقال: والله لا تنْزل، ووالله لا أركب! وما عليَّ أن أُغَبّر قدميَّ في سبيل الله ساعة ".

فسار أسامة بجيشه حتى بلغوا تخوم البلقاء من أرض الشام حيث قتل أبوه زيد وجعفر بن أبي طالب وعبد الله بن رواحة فأغار على تلك البلاد وغنم وسبى وكر راجعا سالما مؤيدا بعد أن أمن حدود دولة الإسلام من قبل الشام وربما إن لم يفعل ذلك لهاجم الفرس والروم وحلفاؤهم المسلمين زمن فتنة الردة ولكنه بدأهم وقضى على أحلامهم.

هذا هو الصديق الذي رأى ببصيرته النافذة الحق وأمضاه بعزيمته الصلبة وإذا اجتمع نفاذ البصيرة ومضاء العزم في حاكم إلا كان النصر حليفه .

يقول العقاد : " بعثة أسامة كانت العنوان الأول لسياسة عامة في الدولة الإسلامية هي في ذلك الحين خير السياسات .

كان قِوامها كله طاعة ما أمر به رسول الله .

وكانت الطاعة – جد الطاعة – مناط السلامة وعصمة المعتصمين من الخطأ الأكبر في ذلك الحين .

وحيث يكون التمرد هو الخطأ الأكبر فالطاعة – بل الطاعة الصارمة – هي العصمة التي ليس من ورائها اعتصام .

وكان التمرد هو الخطر الأكبر في ذلك الحين لا مِراء .

كان النفاق يطلع رأسه في مكة والمدينة ، وكانت القبائل البادية تتسابق إلى الردة في أنحاء الجزيرة ، وكان جند أسامة نفسه يودُّ لو استبدل به أميراً غيره ، وكان أسامة أول من يشك في طاعة القوم إياه ويترقب أن يخلفه على البعثة أمير سواه .

تمرد ، أو نذير بتمرد في كل مكان .

وطاعة واجبة هنا حيث نبع التمرد ، أو لا سبيل إلى واجب بعد ذلك يُطاع .

طاعة أو لا شيء .

فإن بقيت الطاعة فقد بقي كل شيء .

وهنا تسعف الصديق طبيعة هي أعمق الطبائع فيه ، أو هي العبقرية الصديقيَّة في أوانها ، وعلى أحسن حال تكون .

هنا تسعفه القدوة القويمة بالبطل المحبوب .

وهنا يقول وقد خوفوه الخطر على المدينة والجيش يفارقها :

" والله لا أحل عقدة عقدها رسول الله ولو أن الطير تخطفتنا والسباع من حول المدينة ... " (١)

(١)عباس محمود العقاد " عبقرية الصديق " مرجع سابق ص ٢٩٧ ، ٢٩٨ .

ونحن نتفق مع العقاد في وجوب أنفاذ جيش أسامة للأسباب التي ذكرها ولكن نعود ونذكِّر أننا نختلف معه في علاقة أبي بكر بالنبي فهو يقول " هنا تسعفه القدوة القويمة بالبطل المحبوب " ونحن نقول وهنا تملي عليه صديقيته الاقتداء والتأسي بالنبي الحق المعصوم المحبوب ، فأبو بكر لم يكن مفتونا ببطولة بطل أحبه فاقتدي به إنما كان مؤمناً بنبي بعثه الله برسالة لذا وجب عليه أن يطيعه ويقتدي به .

نتائج بعثة أسامة

ولقد أدرك الناس في عصر أبي بكر صواب رأيه في إنفاذ تلك البعثة بعد إنفاذها وعودتها ؛ فشاع في الجزيرة العربية خبرها ، وروى مؤرخو تلك الفترة أنها كانت لا تمر بقبيل يريدون الارتداد إلا تخوفوا وسكنوا : وقالوا فيما بينهم : لو لم يكن المسلمون على قوة لما خرج من عندهم هؤلاء .

فإذا كان بقاء أسامة بالمدينة جائزاً لدفع خطر ، فإرساله كذلك جائز لدفع خطر مثله ، وفازت الدولة بين هذا وذاك بدرس الطاعة وهو يومئذ ألزم الدروس .

ثم تكرر هذا الدرس في أوسع نطاق الدولة الإسلامية كلها في ذلك الحين ، وجاءت حروب الردة التي هي مفخرة أبي بكر الكبرى غير مدافع ، او هي مفخرته الخاصة التي انفرد بها في تاريخ الدعوة الإسلامية بغير شريك .

الصدِّيق الذي آمن ببشارة النصر ولو كره الكافرون ، كما آمن من قبل بانتصار الروم على الفُرس بعد بشارة القرآن الكريم فخاطر على ذلك بالمال والميثاق ، ولم يخامره الشك لحظة أنه رابح لا محالة في

ذلك [١] وكذلك غضب في حرب الردة غضبة الواثق من الحق ، الواثق من الغلبة ، الواثق من العاقبة ؛ لأنه سمع البشارة السماوية لينصرن الله الإسلام على الدين كله ، فإذا حارب في سبيل الإسلام فهو لا محالة على حق وهو لا محالة منصور . [٢]

فإذا كانت فتنة الردة قد كشفت عن زيغ الزائغين وريبة المرتابين فهي قد كشفت كذلك عن الإيمان المتين والفداء السمح واليقين المبين فحفظت للناس نماذج للصبر والشجاعة والإيثار والحمية تشرق بها صفحات الأديان . [٣]

وهكذا قُدِّر للخليفة الأول أن تتوطد على يديه دعائم الدولة الإسلامية الناشئة في سياستها الداخلية وسياسيتها الخارجية ، فما صنعه فقد استمر فيه على خطة النبي ﷺ وما صنعه الذين لحقوا به فإنما هو نتيجة لازمة .

ولا ريب أن يقين الصدِّيق بنصرة الإسلام على الدين كله في يوم من الأيام قد كان أقوى يقين سكن في قلب إنسان أو سكن إليه قلب إنسان.

---

(١) عن عبد الله بن عباس في قوله تعالى : ﴿الم *غُلِبَتِ الرُّومُ * فِي أَدْنَى الأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ * فِي بِضْعِ سِنِينَ لله الأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ المُؤْمِنُونَ﴾ [الرُّوم:١-٤] قال :غلبت وغلبت. قال : كان المشركون يحبون أن تظهر فارس على الروم ؛ لأنهم أصحاب أوثان، وكان المسلمون يحبون أن تظهر الروم على فارس ؛ لأنهم أهل كتاب ، فذكر ذلك لأبي بكر، فذكره أبو بكر لرسول الله فقال رسول الله" : أما إنهم سيغلبون" فذكره أبو بكر لهم، فقالوا: اجعل بيننا وبينك أجلاً، فإن ظهرنا كان لنا كذا وكذا، وإن ظهرتم كان لكم كذا وكذا. فجعل أجلا خمس سنين، فلم يظهروا، فذكر ذلك أبو بكر للنبي ﷺ فقال: "ألا جعلتها إلى دون" أراه قال: "العشر" . قال سعيد بن جبير: البضع ما دون العشر. ثم ظهرت الروم بعد " [رواه أحمد]

(٢)عباس محمود العقاد " عبقرية الصديق " مرجع سابق ص ٣٠٠ ، ٣٠١ .

(٣)عباس محمود العقاد " عبقرية الصديق " مرجع سابق ص ٣٠٩ .

فكل وعد من عود القرآن قد كان عنده حقيقة عيان ، بل أمكن من حقيقة العيان ، وهذه هي منزلة الصديقية التي بلغها أبو بكر وهذه دلائلها وآثارها .

جمع القرآن الكريم

وكما ساهم أبو بكر في تأسيس دولة الإسلام واستكمال مقوماتها وحفظها بوأده فتنة الردة حفظ الله تعالى به الدين حفظ به كتاب الله تعالى حفظ به دستور المسلمين .

عن زيد بن ثابت قال : " أرسل إليَّ أبو بكر مقتل أهل اليمامة فأتيته فإذا عمر جالس عنده قال أبو بكر : إن عمر جاءني فقال : إن القتل قد استحر (اشتد) يوم اليمامة بقراء القرآن ، وإني أخشى إن استحر القتل بالقراء في المواطن كلها ، فيذهب قرآن كثير ، وإني أرى أن نجمع القرآن ، فقلت لعمر : كيف أفعل شيئا لم يفعله رسول الله ﷺ ؟ فقال عمر : هو والله خير ، فلم يزل عمر يراجعني في ذلك . حتى شرح الله صدري للذي شرح صدره ، ورأيت في ذلك الذي رآه . فقال أبو بكر لزيد بن ثابت : إنك رجل شاب عاقل ، لا نتهمك ، وقد كنت تكتب الوحي لرسول الله ﷺ فتتبع القرآن ، فاجمعه . قال زيد : فوالله لو كلفوني نقل جبل من الجبال ما كان أثقل علي مما أمروني به من جمع القرآن قال : قلت : كيف تفعلون شيئا لم يفعله رسول الله ﷺ؟ فقال : هو والله خير ، فلم يزل أبو بكر يراجعني حتى شرح الله صدري للذي شرح صدر أبي بكر وعمر . قال : فتتبعت القرآن أجمعه من الرقاع (جمع رُقعة وهي قطعة من الورق أو الجلد يُكتب فيها) والعسب واللخاف (جمع لخفة وهي حجارة بيض رقاق) ، وصدور الرجال ، فكانت الصحف عند أبي بكر حياته ، حتى توفاه الله ، ثم عند عمر ، حتى توفاه الله ، ثم عند حفصة بنت عمر " .

يقول العقاد : " فخلاصة ما يقال في سياسة الصديق للدولة الإسلامية على عهده أنها كانت سياسة المقتدي المقتدر الفعَّال الذي يصغي إلى النصح ممن يرون التصرف والتمييز والابتداء ، ولم يكن قط مقتدياً على ضعف وتواكل وإلقاء التبعة على غيره ، بل ربما اقتدى ليعمل ما هو أصعب وأعضل وانهض بالتبعة من أعمال المتصرفين"(١)

لم يكن أبو بكر نصي حرفي ينفذ ما قاله الله ورسوله دون تدبر وروية واستشارة أهل الحل والعقد ، ودون فقه الواقع وأحوال الناس إنما كان رجل يستطيع أن يفرق بين النصوص قطعية الثبوت والدلالة التي لا اجتهاد معها ، وبين ظنية الثبوت أو الدلالة التي يستشير الناس فيها وينزل على الرأي الصواب وإن خالف رأيه كما تعلَّم ذلك من النبي ﷺ الذي نزل على رأي الْحُبَابَ بْنَ الْمُنْذِرِ في غزوة بدر ونزل على رأي السعدين في غزوة الخندق ، كذلك نزل أبو بكر على رأي عمر في جمع القرآن بعدما تدبر الأمر وشرح الله صدره له ، وهذا هو الأهم شرح الصدر فالله تعالى يقول ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت: ٦٩] .

فالذين بذلوا جهدهم في سبيل إعلاء دين الله تعالى ، وقدموا أنفسهم وأموالهم في سبيل رضائه وطاعته ، وأخلصوا له العبادة والطاعة ، فإن الله تعالى لن يتخلَّى عنهم ، بل سنهديهم إلى الطريق المستقيم ، ويجعل العاقبة الطيبة لهم ، فقد اقتضت رحمة الله تعالى وحكمته أن يكون مع المحسنين في أقوالهم وفى أفعالهم ، وأن يهيأ لهم البطانة الصالحة ، وتلك سنته تعالى التي لا تتخلف ولا تتبدل .

***

(1) عباس محمود العقاد " عبقرية الصديق " مرجع سابق ص ٣٣٣ .

علمه وذكاؤه

فطنة أبي بكر

قلنا إن يقين أبي بكر وتأسِّيه بالنبي ﷺ لم يكن تقليداً أعمى ، أو التزاماً حرفياً دون بصيرة فلم تكن منزلة الصديقية التي بلغها أبو بكر نتيجة التدبُّر والأخذ في الأسباب فحسب بل إنهما من لوازم هذه المنزلة.

يقول العقاد عن فطنة أبي بكر " وعلى هذا الحظ الوافر من المزايا الخلقية كان له قسط محمود من المزايا العقلية التي يمتاز بها ذوو الأقدار من أهل زمانه ، فقيل فيه وفي صاحبه أبي عبيدة : إنهما " داهيتا العرب " ، وأُثِر عنه أنه كان أسرع الناس إلى الفطنة لما يوحي به النبي بالتلميح دون تصريح . "

بما استدل العلماء على أن أبا بكر أعلم الصحابة

ومما جاء في الحديث الشريف عن علمه وفطنته أنه ﷺ قال : " رأَيْتُ كَأَنِّي أُعْطِيتُ عُسًّا مَمْلوءًا لَبَنًا ، فَشَرِبْتُ مِنْهُ حتى ملئتُ ، فَرأَيْتُها تَجري في عُرُوقِي بين الجِلْدِ واللَّحْمِ ، فَفَضَلَتْ مِنْها فَضْلَةٌ فَأَعْطَيْتُها أبا بكرٍ . قالوا : يا رسولَ اللهِ ! هذا العلمُ أَعْطَاكَهُ اللهُ حتى إذا تَمَلأْتَ مِنْهُ فَضَلَتْ فَضْلَةٌ ؛ فَأعطيْتَها أبا بكرٍ ، فقال النبِيُّ ﷺ: قد أَصَبْتُمْ "

[صحيح ابن حبان]

واستدلَّ العلماء على عِظَم علم أبي بكر بموقفه في الردة فعن أَبي هريرة قَالَ : لَمَّا تُوُفِّيَ رسولُ الله ﷺ وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ وَكَفَرَ مَنْ كَفَرَ مِنَ العَرَبِ ،

فَقال عُمَرُ : كَيْفَ تُقَاتِلُ النَّاسَ وَقَدْ قَالَ رسولُ الله ﷺ : " أُمِرْتُ أنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولوُا لاَ إلهَ إلاَّ اللهُ ، فَمَنْ قَالَهَا فَقَدْ عَصَمَ مِنِّي مَالَهُ وَنَفْسَهُ إلاَّ بِحَقِّهِ ، وَحِسَابُهُ عَلَى الله " فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ : وَاللهِ لأُقَاتِلَنَّ مَنْ فَرَّقَ بين الصَّلاَةِ وَالزَّكَاةِ ، فَإنَّ الزَّكَاةَ حَقُّ المَالِ . وَاللهِ لَوْ مَنَعُونِي عِقَالاً كَانُوا يُؤدُّونَهُ إلَى رسولِ الله ﷺ لَقَاتَلْتُهُمْ عَلَى مَنْعِهِ . قَالَ عُمَرُ : فَوَاللهِ مَا هُوَ إلاَّ أنْ رَأيْتُ اللهَ قَدْ شَرَحَ صَدْرَ أَبي بَكْرٍ لِلقِتَالِ ، فَعَرَفْتُ أنَّهُ الحَقُّ "
[متفقٌ عَلَيْهِ]

فالصحابة وعلى رأسهم عمر وقفوا عند حديث النبي ﷺ عند ظاهر لفظه وهو عدم قتال من شهد الشهادتين إلا أبا بكر فقد رأى أن من تمام إسلام العبد أن يؤدي زكاة ماله للفقراء كما يؤدي الصلاة لله ، وعندما تدبر الصحابة كلام أبي بكر تبين لهم أنه كان أعمق منهم فهماً لدين الله تعالى ومقاصده العليا فأقروه عليه .

وعن عبد الله بن مسعود قال : خَطَبَ النَّبيُّ ﷺ فَقال: إنَّ اللهَ خيَّر عَبدًا بينَ الدُّنيا وبَين ما عِندَه، فاخْتار ما عِندَ اللهِ. فَبَكى أبو بكرٍ ، فقُلتُ في نَفسي: ما يُبكي هَذا الشَّيخَ إنْ يَكُنِ اللهُ خيَّر عَبدًا بينَ الدُّنيا وبَينَ ما عِندَه، فاختارَ ما عِندَ اللهِ؟! فَكان رَسولُ اللهِ ﷺ ، وكان أَبو بكرٍ أَعْلَمَنا، قال: يا أبا بَكرٍ، لا تَبْكِ، إنَّ أمَنَّ النَّاسِ عليَّ في صُحبتِه ومالِه أبو بَكرٍ، ولو كُنتُ مُتَّخِذًا خَليلًا مِن أمَّتي لَاتَّخذْتُ أَبا بَكرٍ، ولكنْ أُخوَّةُ الإسلامِ ومَودَّتُه، لا يَبقيَنَّ في المَسجدِ بابٌ إلَّا سُدَّ، إلَّا بابَ أبي بَكرٍ"
[متفق عليه]

أقرأ الصحابة وأعلمهم بالقرآن والسنة

وعن ابن عمر أنه سئل : من كان يفتي الناس في زمن رسول الله ﷺ فقال : أبو بكر وعمر ما أعلم غيرهما .

وقال ابن كثير : كان الصديق أقرأ الصحابة ـ أي أعلمهم بالقرآن ـ لأنه ﷺ قدمه إماماً للصلاة بالصحابة مع قوله : " يؤم القوم أقرؤهم لكتاب الله " .

وأخرج الترمذي عن عائشة قال : قال رسول الله ﷺ " لا ينبغي لقوم فيهم أبو بكر أن يؤمهم غيره " .

لماذا لم يرو عن أبي بكر من الأحاديث المسندة إلا القليل ؟

وكان أبو بكر ليس أعلم الصحابة بالقرآن الكريم فحسب بل أعلمهم بالسنة المطهرة كذلك ، وكان الصحابة يرجعون إليه في مسائل الدين لحفظه لسنن النبي ﷺ التي ليست عندهم وكيف لا يلتمسون السنة المطهرة عند من واظب على صحبة الرسول ﷺ من أول البعثة إلى الوفاة ؟

وهو مع ذلك من أذكى عباد الله وأعقلهم وإنما لم يرو عنه من الأحاديث المسندة إلا القليل لقصر مدته وسرعة وفاته بعد النبي ﷺ وإلا فلو طالت مدته لكثر ذلك عنه ولم يترك الناقلون عنه حديثاً إلا نقلوه ولكن كان الذين في زمانه من الصحابة لا يحتاج أحد منهم أن ينقل عنه ما قد شاركه هو في روايته فكانوا ينقلون عنه ما ليس عندهم فحسب .

وكان أبو بكر إذا ورد عليه الخصم نظر في كتاب الله فإن وجد فيه ما يقضي به بينهم قضى به وإن لم يكن في الكتاب وعلم من رسول الله ﷺ في ذلك الأمر سنة قضى بها فإن أعياه خرج فسأل المسلمين وقال : أتاني كذا وكذا فهل علمتم أن رسول الله ﷺ قضى في ذلك بقضاء ؟ فربما اجتمع إليه النفر كلهم يذكر عن رسول الله ﷺ فيه قضاء فيقول أبو بكر : الحمد لله الذي جعل فينا من يحفظ عن نبينا فإن أعياه أن

يجد فيه سنة عن رسول الله ﷺ جمع رءوس الناس وخيارهم فاستشارهم فإن أجمع أمرهم على رأي قضى به وكان عمر يفعل ذلك فإن أعياه أن يجد في القرآن والسنة نظر هل كان لأبي بكر فيه قضاء ؟ فإن وجد أبا بكر قضى فيه بقضاء قضى به وإلا دعا رءوس المسلمين فإذا اجتمعوا على أمر قضى به .

وكان الصديق مع ذلك أعلم الناس بأنساب العرب لا سيما قريش وكان غاية في علم تعبير الرؤيا وقد كان يعبر الرؤيا في زمن النبي ﷺ وقد قال محمد بن سيرين :" كان أبو بكر أعبر هذه الأمة بعد النبي ﷺ"

[أخرجه ابن سعد]

الأحاديث الواردة في فضل أبي بكر وحده

وردت كثير من الأحاديث في فضل أبي بكر الصديق نكتفي بذكر أشهرها .

عن عمرو بن العاص قال : قلت يا رسول الله ﷺ أي الناس أحب إليك ؟ قال : " عائشة " قلت من الرجال ؟ قال : " أبوها " قلت : ثم من؟ قال : " ثم عمر بن الخطاب " [متفق عليه]

عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ: أرحم أمتي بأمتي أبو بكر وأشدهم في أمر الله عمر وأصدقهم حياء عثمان وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل وأفرضهم زيد بن ثابت وأقرؤهم أبي بن كعب ولكل أمة أمين وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح " [أحمد والترمذي]

عن أبي هريرة قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : من أنفق زوجين من شيء من الأشياء في سبيل الله دعي من أبواب الجنة يا عبد الله هذا خير فمن كان من أهل الصلاة دعي من باب الصلاة ومن كان

من أهل الجهاد دعي من باب الجهاد ومن كان من أهل الصدقة دعي من باب الصدقة ومن كان من أهل الصيام دعي من باب الريان ، فقال أبو بكر : ما على من يدعى من تلك الأبواب من ضرورة فهل يدعى منها كلها أحد يا رسول الله ؟ قال : نعم فأرجو أن تكون منهم يا أبا بكر"

وعن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : أما إنك يا أبا بكر أول من يدخل الجنة من أمتي " [أبو داود والحاكم]

وعن عبد الله بن مسعود قال : خَطَبَ النَّبيُّ ﷺ فَقال: إنَّ اللهَ خيَّر عَبدًا بينَ الدُّنيا وبَين ما عِندَه، فاخْتار ما عِندَ اللهِ. فَبَكى أبو بكرٍ ، فقُلتُ في نَفسي: ما يُبكي هَذا الشَّيخَ إنْ يَكُنِ اللهُ خيَّر عَبدًا بينَ الدُّنيا وبَينَ ما عِندَه، فاختارَ ما عِندَ اللهِ؟! فَكان رَسولُ اللهِ ﷺ ، وكان أَبو بكرٍ أَعْلَمَنا، قال: يا أبا بَكرٍ، لا تَبْكِ، إنَّ أمَنَّ النَّاسِ عليَّ في صُحبتِه ومالِه أبو بَكرٍ، ولو كُنتُ مُتَّخِذًا خَليلًا مِن أمَّتي لَاتَّخذْتُ أَبا بَكرٍ، ولكنْ أُخوَّةُ الإسلامِ ومَودَّتُه، لا يَبقيَنَّ في المَسجدِ بابٌ إلَّا سُدَّ، إلَّا بابَ أبي بَكرٍ"

[متفق عليه]

عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ قَالَ : " كُنْتُ جَالِسًا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ إِذْ أَقْبَلَ أَبُو بَكْرٍ آخِذًا بِطَرَفِ ثَوْبِهِ حَتَّى أَبْدَى عَنْ رُكْبَتِهِ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : " أَمَّا صَاحِبُكُمْ فَقَدْ غَامَرَ ، فَسَلَّمَ وَقَالَ: إِنِّي كَانَ بَيْنِي وَبَيْنَ ابْنِ الْخَطَّابِ شَيْءٌ فَأَسْرَعْتُ إِلَيْهِ ثُمَّ نَدِمْتُ فَسَأَلْتُهُ أَنْ يَغْفِرَ لِي فَأَبَى عَلَيَّ، فَأَقْبَلْتُ إِلَيْكَ فَقَالَ: يَغْفِرُ اللَّهُ لَكَ يَا أَبَا بَكْرٍ ثَلَاثًا، ثُمَّ إِنَّ عُمَرَ نَدِمَ، فَأَتَى مَنْزِلَ أَبِي بَكْرٍ فَسَأَلَ أَثَمَّ أَبُو بَكْرٍ فَقَالُوا: لا. فَأَتَى إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَسَلَّمَ فَجَعَلَ وَجْهُ النَّبِيِّ ﷺ يَتَمَعَّرُ حَتَّى أَشْفَقَ أَبُو بَكْرٍ، فَجَثَا عَلَى رُكْبَتَيْهِ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَاللَّهِ أَنَا كُنْتُ أَظْلَمَ مَرَّتَيْنِ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : إِنَّ اللَّهَ بَعَثَنِي إِلَيْكُمْ فَقُلْتُمْ كَذَبْتَ وَقَالَ أَبُو

بَكْرٍ: صَدَقَ وَوَاسَانِي بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ، فَهَلْ أَنْتُمْ تَارِكُوا لِي صَاحِبِي مَرَّتَيْنِ، فَمَا أُوذِيَ بَعْدَهَا " [صحيح البخاري]

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ صَائِمًا ؟ قَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَنَا، قَالَ: فَمَنْ تَبِعَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ جَنَازَةً ؟ قَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَنَا، قَالَ: فَمَنْ أَطْعَمَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ مِسْكِينًا ؟ قَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَنَا، قَالَ فَمَنْ عَادَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ مَرِيضًا ؟ قَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَنَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : مَا اجْتَمَعْنَ فِي امْرِئٍ إِلَّا دَخَلَ الْجَنَّةَ " [صحيح مسلم].

وعن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال لأبي بكر : أنت صاحبي على الحوض وصاحبي في الغار " [الترمذي]

***

مرضه ووفاته

اختلاف روايات مرض أبي بكر ووفاته

اختلفت روايات الصحابة في كيفية موت أبي بكر الصديق والعجيب أن الحاكم هو الذي أخرج روايات موت أبي بكر كلها .

فعن ابن عمر قال : كان سبب موت أبي بكر وفاة رسول الله ﷺ كمد فما زال جسمه يجري (يَنْقُص) حتى مات " [رواه الحاكم].

وعن ابن شهاب أن أبا بكر والحارث بن كلدة كانا يأكلان خزيرة أهديت لأبي بكر فقال الحارث لأبي بكر : ارفع يدك يا خليفة رسول الله والله إن فيها لسم سنة وأنا وأنت نموت في يوم واحد فرفع يده فلم يزالا عليلين حتى ماتا في يوم واحد عند انقضاء السنة " [الحاكم وابن سعد]

عن الشعبي قال : " ماذا نتوقَّع من هذه الدنيا الدَّنِيَّة وقد سُمَّ رسولُ الله ﷺ أبو بكر ؟ " [الحاكم]

وعن السيدة عائشة قالت : كان أول بدء مرض أبي بكر أنه اغتسل يوم الاثنين لسبع خلون من جمادى الآخرة وكان يوماً بارداً فَحُمَّ خمسة عشر يوماً لا يخرج إلى صلاة وتوفي ليلة الثلاثاء لثمان بقين من جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة وله ثلاث وستون سنة "

[الحاكم والواقدي]

الجمع بين روايات مرض وموت أبي بكر

وتأثُّر أبو بكر بموت النبي ﷺ نفسيّاً وبدنيّاً كما ذكر ابن عمر أمر طبيعي مشاهد في فراق الأحبة فكثير من الأحباء يموت كمداً بموت حبيبه أو فقده وقد كُفَّ بصر يعقوب وكاد يهلك لفقد ابنه يوسف .

﴿وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسَفَى عَلَى يُوسُفَ وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ* قَالُوا تَاللهِ تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الهَالِكِينَ﴾ [يوسف:٨٤ ، ٨٥]

وعن ابن عباس " أن النبي ﷺ بعث سرية فغنموا وفيهم رجل فقال : اللهم إني لست منهم، عشقت امرأة فلحقتها، فدعوني أنظر إليها نظرة ثم اصنعوا بى ما بدا لكم. فنظروا فإذا امرأة طويلة أدماء .قالت نعم فديتك. فقدموه فضربوا عنقه، فجاءت المرأة فوقفت عليه فشهقت شهقة أو شهقتين ثم ماتت. فلما قدموا على رسول الله ﷺ أخبروه بذلك فقال رسول الله ﷺ : أما كان فيكم رجل رحيم ؟ "

[رواه النسائي والبيهقى والطبراني]

وقد توفيت السيدة فاطمة بعد النبي ﷺ بأقل من ستة أشهر . وتذكر مصادر السنّة التاريخية أنّ السيدة فاطمة تُوفِّيت نتيجة وفاة والدها الحبيب ؛ فقد نسيت الفرح والضحك، وبقيت في بيتها تبكي أباها ليلاً ونهاراً حتى أن فارقت الحياة .

أما رواية موت أبي بكر مسموماً وهي أقوى الروايات سنداً فهي غير مستبعدة فلا يسلم الحاكم الصالح من حسد وحقد وبغض ممن الظالمين والطامعين فيما ليس لهم بحق ، وقد قُتِل عمر أشهر حاكم عادل وكذلك عمر بن العزيز كذلك قتل عثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب ، والنبي ﷺ نفسه لم يسلم من محاولة قتله في مكة من الذين كفروا ﴿وَإِذْ

يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللهُ وَاللهُ خَيْرُ المَاكِرِينَ ﴾ [الأنفال:٣٠] وفي المدينة قد تآمر يهود بني النضير أن يطرحوا عليه حَجَراً، فجاء جبريل فأخبره بما همُّوا به، فقام بمن معه، وأنزل الله ﴿يَا أَيُّهَآ الَّذِينَ آمَنُواْ اذْكُرُواْ نِعْمَتَ اللّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُواْ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَاتَّقُواْ اللّهَ وَعَلَى اللّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾[المائدة : ١١] (١)

وكرر اليهود المحاولة محاولة قتل النبي ﷺ مرة ثانية لكن هذه المرة ليس بإلقاء حجر عليه إنما بالسم " قالت السيدة عائشة: كان النبي ﷺ يقول في مرضه الذي مات فيه : " يا عائشة ، ما أزال أجد ألم الطعام الذي أكلت بخيبر، فهذا أوان وجدت انقطاع أبهري(عرق مرتبط بالقلب إذا انقطع مات الإنسان) من ذلك السم " .

(وطعام خيبر) هو اللقمة التي أكلها من الشاة التي سمتها اليهودية وقدمتها إليه في غزوة خيبر فأكل منها لقمة وقال إن هذه الشاة تخبرني أنها مسمومة وأكل معه منها بشر فمات " (٢)

وهاتان الروايتان في موت أبي بكر – حزناً أو بالسم – ليستا متعارضتين فمن المعلوم أن الحزن والكمد مما يضعف مقاومة الجسم للأمراض والآفات التي تصيبه ، وإن كان أبو بكر قد سمَّ فإن حزنه على النبي ﷺ وكرهه للحياة بعده قد أضعفا مقاومة جسمه على التعافي منه.

أما رواية موت أبي بكر بسبب الحُمَّى التي أصيب بها نتيجة تعرضه للهواء البارد بعد أن اغتسل فهي لا تتعارض مع الروايتين الأخريين كذلك فإذا كان حزنه على النبي ﷺ وعدم الرغبة في الحياة بعده قد

(١) الإمام جلال الدين السيوطي " الدر المنثور في التفسير بالمأثور." في تفسير الآية .
(٢) الإمام المناوي " فيض القدير شرح الجامع الصغير " ج ٥ حرف الميم .

أضعفا مقاومته فإن السم قد أثَّر فيه تأثيراً كبيراً ويأتي التعرض للبرد الشديد بعد الاغتسال ليجهز على البدن الحزين العليل .

أخرج أحمد عن السيدة عائشة قالت : إن أبا بكر لما حضرته الوفاة قال : أي يوم هذا ؟ قالوا : يوم الاثنين قال : فإن مت من ليلتي فلا تنتظروا بي لغد فإن أحب الأيام والليالي إلي أقربها من رسول الله ﷺ "

هل مات أبو بكر شهيداً ؟

هل شاءت حكمة الله تعالى أن ينعم على الصديق بمنزلة الشهادة إلى جانب منزلة الصديقية ليجمع بين المنزلتين ؟ كما تمنَّى النبي ﷺ أن يجمع بين النبوة والشهادة في سبيل الله .

فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : " وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ وَدِدْتُ أَنِّي أُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، فَأُقْتَلُ ، ثُمَّ أُحْيَا ، ثُمَّ أُقْتَلُ ، ثُمَّ أُحْيَا ، ثُمَّ أُقْتَلُ " فَكَانَ أبو هُرَيْرَةَ يَقُولُهُنَّ ثَلَاثًا أَشْهَدُ بِاللَّهِ. " [صحيح البخاري]

فأبو بكر قد تمَّ سَمُّه غِيلة وهذه أقوى روايات موته سَنَداً ، ومن المؤكد أن من دسَّ له السم إنما هو عدو لله ورسوله يريد أن يزلزل دولة الإسلام بقتل خليفة رسول الله وتصارع الناس على الخلافة من بعده ، وعلى هذا يكون أبو بكر قد استشهد لأنه قتل وهو يقيم دولة الإسلام ويدافع عنها ضد أعدائها ، وكذلك لأن من مات بالسم ممن عدَّهم النبي ﷺ من الشهداء فهو يُعَدُّ مَبْطُوناً فعن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : "الشُّهَدَاءُ خَمْسَةٌ الْمَطْعُونُ وَالْمَبْطُونُ وَالْغَرِقُ وَصَاحِبُ الْهَدْمِ وَالشَّهِيدُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ" [رواه البخاري] ويعرِّف العلماء الْمَبْطُونُ بأنه : هو الذي يشتكي بطنه من إسهال، أو استسقاء أو نحو ذلك. يقال، بُطِن إذا اشتكى بطنه، فهو مبطون، أو من مات بقرحة المعدة، أو بالسل، أو بأزمة قلبية، أو بأي داء في البطن. فعن رسول الله قال: "مَنْ قَتَلَهُ بَطْنُهُ

لَمْ يُعَذَّبْ فِي قَبْرِهِ" [رواه الترمذي] ويقول الأطباء عن أعراض التسمم " تختلف أعراض التسمم الغذائي عن أعراض باقي أنواع التسمم حيث تتركز على أعراض الجهاز الهضمي كالقيء وألم البطن والإسهال " وهذه من أعراض الْمَبْطُونُ .

وإذا مات أبو بكر محموماً كما أخبرت السيدة عائشة أنه أصيب بالحمى بعد أن اغتسل وخرج في البرد الشديد ، فما أخرجه بعد أن اغتسل إلا الصلاة أو قضاء أمر من أمور المسلمين ، فما أخرج الصديق في البرد الشديد بعد اغتساله لهو أو لعب فما كان من أصحابهما في الظروف العادية فما بالك في البرد الشديد ؛ لذا نرجِّح أنه جمع بين منزلتي الصديقية والشهادة .

وصية أبي بكر لعمر بالخلافة

لم يشأ أبو بكر أن يترك الأمة – وقد شعر بدنو أجله – دون أن يرشح لها خليفة من بعده فقد كانت الفتنة ما زالت تطل برأسها وارتداد كثير من العرب عن الإسلام وحروب الردة لم يمض عليهما إلا قليل وما زالت آثارهما باقية ، ومع ذلك لم يشأ أبو بكر – كسائر الملوك – أن يجعلها في أهله أو حتى في قبيلته إنما جعلها فيمن هو أهل لها ، ولم يكتب هذا إلا بعد أن استشار أهل الحل والعقد من كبار الصحابة المعروف عنهم حسن الرأي وسياسة الأمور من المهاجرين والأنصار .

أخرج الواقدي أن أبا بكر لما ثقل (عليه المرض) دعا عبد الرحمن بن عوف فقال : أخبرني عن عمر بن الخطاب ؟ فقال : ما تسألني عن أمر إلا وأنت أعلم به مني فقال أبو بكر : وإنْ (كان الأمر كذلك لكن أخبرني عما سألتك) فقال عبد الرحمن : هو والله أفضل من رأيك فيه، ثم دعا عثمان بن عفان فقال : أخبرني عن عمر ؟ فقال : أنت أخبرنا

به فقال : على ذلك (قل رأيك أنت) فقال : اللهم علمي به أن سريرته خير من علانيته وأنه ليس فينا مثله .

وشاور معهما (أي مع عبد الرحمن بن عوف وعثمان بن عفان) سعيد بن زيد وأسيد بن الحضير وغيرهما من المهاجرين والأنصار فقال أسيد : اللهم أعلمه الخير بعدك يرضى للرضا ويسخط للسخط الذي يسر خير من الذي يعلن ولن يلي هذا الأمر أحد أقوى عليه منه .

ودخل عليه بعض الصحابة فقال له قائل منهم : ما أنت قائل لربك إذا سألك عن استخلافك عمر علينا وقد ترى غلظته ؟ فقال أبو بكر : بالله تخوفني ؟ أقول : اللهم إني استخلفت عليهم خير أهلك أبلغ عني ما قلت من وراءك .

ثم دعا عثمان فقال : اكتب " بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما عهد أبو بكر بن أبي قحافة في آخر عهده بالدنيا خارجاً منها وعند أول عهده بالآخرة داخلاً فيها حيث يؤمن الكافر ويوقن الفاجر ويصدق الكاذب إني استخلفت عليكم بعدي عمر بن الخطاب فاسمعوا له وأطيعوا وإني لم آل الله ورسوله ودينه ونفسي وإياكم خيراً فإن عدل فذلك ظني به وعلمي فيه وإن بدَّل فلكلٍّ امرئ ما اكتسب والخير أردت ولا أعلم الغيب وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته "

ثم أمر بالكتاب فختمه ثم أمر عثمان فخرج بالكتاب مختوماً فبايع الناس ورضوا به ثم دعا أبو بكر عمر خالياً فأوصاه بما أوصاه ثم خرج من عنده فرفع أبو بكر يديه وقال : اللهم إني لم أرد بذلك إلا صلاحهم وخفت عليهم الفتنة فعملت فيهم بما أنت أعلم به واجتهدت لهم رأياً فوليت عليهم خيرهم وأقواهم عليهم وأحرصهم على ما أرشدهم وقد

حضرني من أمرك ما حضر فاخلفني فيهم فهم عبادك ونواصيهم بيدك أصلح اللهم ولاتهم واجعله من خلفائك الراشدين وأصلح له رعيته " .

وقفة مع وصية أبي بكر لعمر بالخلافة

قلنا أن أبا بكر كان متأسياً بالنبي سائراً على هديه لا يحيد عن طريقه ، ومع ذلك لم يمنعه ذلك من الاجتهاد فيما لا نص فيه لصالح الأمة ، وقلنا إنه أذكى الصحابة وأرجحهم رأياً ، وتتجلَّى هذه السمات التي اتسم بها أبو بكر في موقف الوصية لعمر أسمى تجلٍّ فبرغم أن النبي لم يوص بالخلافة لأحد من بعده ، ومع ذلك أوصى أبو بكر وهو أشد الناس تأسياً بالرسول لما علم من أن النبي لم يفعل ذلك حتى لا يكون تشريعاً دينياً يستغله الحكام لتوريث الحكم لأبنائهم وذويهم ، أما عندما يفعله هو فيكون اجتهاداً بشرياً وليس تشريعاً دينياً .

– لم يستبد أبو بكر بالرأي في اختيار عمر إنما استشار أهل الرأي من المهاجرين والأنصار فأقروه وأيدوه في ذلك .

– كانت توصيته لعمر مجرد ترشيح أو توصيلة وليست إلزاماً وجبراً على قبولها ، كما أنها لا تحجر على حرية الناس في اختيار من يحكمهم .

أخرج ابن عساكر عن يسار بن حمزة قال : لما ثقل أبو بكر أشرف على الناس من كوة فقال : أيها الناس إني قد عهدت عهداً أفترضون به ؟ فقال الناس : رضينا يا خليفة رسول الله فقام على فقال : لا نرضى إلا أن يكون عمر قال : فإنه عمر" .

– كانت توصيته لعمر كانت مشروطة بإطاعة عمر الله ورسوله عملاً بقوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ

وَأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَاليَوْمِ الآَخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾ [النساء:٥٩] فلم يقل الله تعالى أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأطيعوا أولي الأمر إنما عطف طاعة أولي الأمر على طاعة الله ورسوله أي أطيعوا أزلي الأمر ما أطاعوا الله ورسوله فإن عصوا الله ورسوله فلا طاعة لهم عليكم وهذا ما ذكره أبو بكر في أول خطبة له بعد مبايعته للخلافة .

وقد عرض عمر نفسه كمرشح للخلافة في أول خطبة له فأقر الناس بمحض إرادتهم خلافته .

ولقد صدقت خلافة عمر اجتهاد أبو بكر في التوصية بالخلافة له فكان حكمه مضرب المثل في العدل والزهد وطاعة الله ورسوله وعمل بكتاب الله وسنة رسوله واجتهاد الرأي حيث يتطلب الأمر .

أخرج ابن سعد والحاكم عن ابن مسعود قال : أفرس الناس ثلاثة : أبو بكر حين استخلف عمر ، وصاحبة موسى حين قالت : استأجره ، والعزيز حين تفرس في يوسف فقال لامرأته : أكرمي مثواه . "

وصايا أبي بكر لأهله قبل موته

لقد ضرب أبو بكر المثل العظيم في العدل في إسلامه وصحبته للنبي وفي حكمه وفي وفاته كذلك .

وأخرج مالك عن السيدة عائشة أن أبا بكر نحلها (أعطاها) جداد عشرين وسقاً من ماله بالغابة فلما حضرته الوفاة قال : يا بنية والله ما من الناس أحب إلي غنى منك ولا أعز علي فقرا بعدي منك وإني كنت نحلتك جداد عشرين وسقاً فلو كنت جددته واحترزته كان لك وإنما هو اليوم مال وإرث وإنما هو أخواك وأختاك فأقسموه على كتاب الله فقالت: يا أبت والله لو كان كذا وكذا لتركته إنما هي أسماء فمن الأخرى ؟ قال

: ذو بطن ابنة خارجة أراها جارية " وخارجة هذه هي زوجته حبيبة بنت خارجة بن زيد بن أبي زهير الخزرجية الأنصارية أم ابنته أم كلثوم التي كانت لا تزال حاملاً بها عند وفاة أبي بكر .

وأخرج هذا الحديث ابن سعد وقال في آخره : ذات بطن ابنة خارجة قد ألقي في روعي أنها جارية فاستوصي بها خيرا فولدت أم كلثوم " .

فأبو بكر لا ينسى أن يوصى بأن يأخذ الجنين الذي كانت زوجته خارجة حاملة فيه في الميراث حسب كتاب الله .

وأخرج الطبراني في مسنده عن الحسن بن علي بن أبي طالب قال : لما احتضر أبو بكر قال : يا عائشة انظري اللقحة التي كنا نشرب من لبنها و الجفنة التي كنا نصطبغ فيها و القطيفة التي كنا نلبسها فإنا كن ننتفع بذلك حين كنا نلي أمر المسلمين فإذا مت فارديه إلى عمر فلما مات أبو بكر أرسلت به إلى عمر فقال عمر : رحمك الله يا أبا بكر ! لقد أتعبت من جاء بعدك ".

وأخرج ابن أبي الدنيا عن أبي بكر بن حفص قال : قال أبو بكر ـ لما اختضر ـ لعائشة رضي الله عنها : يا بنية إنا ولينا أمر المسلمين فلم نأخذ ديناراً ولا درهماً ولكنا أكلنا من جريش طعامهم في بطوننا ولبسنا من خشن ثيابهم على ظهورنا وإنه لم يبق عندنا من فيء المسلمين قليل ولا كثير إلا هذا العبد الحبشي وهذا البعير الناضح وجرد هذه القطيفة فإذا مت فابعثي بهن إلى عمر" .

هذا هو العدل في أروع صوره وهذا هو الحاكم العادل في أسمى نزاهته وشرفه وتقواه وعفته وطهارة قلبه ويده .

وأخرج ابن سعد عن عروة أن أبا بكر أوصى بخمس ماله وقال : آخذ من مالي ما أخذ الله من فيء المسلمين " .

وأخرج ابن سعد و غيره عن السيدة عائشة قالت : لما ثقل أبو بكر تمثلت بهذا البيت

لَعَمْرُكَ مَا يُغْنِي الثَّرَاءُ عَنِ الْفَتَى

إِذَا حَشْرَجَتْ يَوْمًا وَضَاقَ بِهِ الصَّدْرُ

فكشف عن وجهه و قال : ليس كذلك ولك قولي : ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ المَوْتِ بِالحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾ [ق:١٩] انظروا ثوبي هذين فاغسلوهما وكفنوني فيهما فإن الحي أحوج إلى الجديد من الميت " .

وأخرج ابن سعد عن سعيد بن المسيب أن عمر صلى على أبي بكر بين القبر والمنبر وكبر عليه أربعاً "

وأخرج ابن سعد عن عروة والقاسم بن محمد أن أبا بكر أوصى عائشة أن يدفن إلى جنب رسول الله ﷺ فلما توفي حفر له وجعل رأسه عند كتف رسول الله ﷺ وألصق اللحد بقبر رسول الله ﷺ .

***

كتب للمؤلف

كتب دينية

١- ميزان الحق بين العلمانية اللا دينية والسلفية اللا أصولية . مكتبة مدبولي

٢- الدين والسياسة والنبوءة . دار الكتاب العربي

٣- المدارس السلفية،جدليَّة النقل والعقل والمصلحة. دار زهور المعرفة والبركة

٤- الفوائد الجمة في تفسير جزء عمَّ . " " " " " " " "

٥- عبقرية محمد للعقاد ، مع ضبط وتخريج الأحاديث النبوية ، ومناقشة آراء العقاد الدينية وذكر مفتاح شخصية خير البرية . " " " " " " " " " "

٦- ضبط وتخريج الأحاديث النبوية لكتاب " على هامش السيرة لطه حسين" مع مناقشة أفكار الكاتب واتجاهاته الدينية. " " " " " " " " " "

٧- أخلاق الإسلام وتنمية المجتمع. " " " " " " " " " "

٨- أبو بكر الصديق ، ومنزلة الصديقية دار نوبل للنشر والتوزيع

سلسلة نحو خطاب ديني جديد

١- مناقشة معاصرة لقضايا المرأة المسلمة . دار زهور المعرفة والبركة

٢- في العقيدة والشريعة والأخلاق . " " " " " " " " " "

٣- حوارات مفتوحة مع تلميذتي الصريحة . " " " " " " " " " "

سلسلة فصول من تاريخ مصر المعاصر

١- آخر أيام فاروق وأول أيام الثورة . دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع

٢- العامان المجهولان في تاريخ ثورة يوليو . دار زهور المعرفة والبركة

٣- هزيمة يونيو ٦٧ وتحديد المسئولية " " " " " " " " " "

٤- إنجازات عبد الناصر الكبرى من منظور سياسي " " " " " " " " " "

٥- نظام عبد الناصر السياسي والاقتصادي والاجتماعي " " " " " " " " " "

٦- أمريكا وعبد الناصر من التحالف إلى العداء " " " " " " " " " "

سلسلة كتب نحو فهم صحيح للصراع العربي الإسرائيلي

١- الإستراتيجية الصهيونية تجاه العرب ، والمنهج الإلهي لميراث الأرض .

دار هبة النيل العربية

٢- اليهود والصليبيون الجدد ، الدجل الديني والسياسي . دار الإبداع للصحافة والنشر

٣- إسرائيل وحزب الله ولبنان ، الفائز والخاسر ومن دفع الثمن. " " " " " " " "

٤- فتح وحماس ، من مقاومة الاحتلال إلى الصراع على السلطة " " " " " " "" "

٥-اليهود والصهيونية وأوهام الأمة العربية . " " " " " " " " " "

كتب عن الثورة

١- متى يثور المصريون ، دراسة في الشخصية المصرية والثورة عبر التاريخ .

دار زهور المعرفة والبركة

٢- دروس من ثورة يوليو لثورة يناير . " " " " " " " " " "

كتب عن الحضارة المصريّة

١- حضارات مصر ونهضاتها . دار زهور المعرفة والبركة

٢- لسنا فراعنة ولا عرباً ولا أورمتوسطين فمن نكون ؟ " " " " " " " " " "

٣- البحث عن شخصية مصر الحقيقية دار نوبل للنشر والتوزيع

المؤلفات الأدبية

١- مهاجرون (قصص قصيرة) دار زهور المعرفة والبركة

٢- الحرف التاسع والعشرون (قصص قصيرة) " " " " " " " " " "

٣- ليت قومي يعلمون . (قصص قصيرة) " " " " " " " " " "

٤- القاهرة ، يناير ٢٠١١ (رواية) " " " " " " " " " " " "

٥- شهادات رموز ومعالم مصرية حديثة على بطولات مصرية مجيدة . (قصص مصورة للنشء والشباب) دار زهور المعرفة والبركة

٦- طرائف ونوادر مدرسين معاصرين .

مذكرات أديب مغمور (رواية)

٧- أحلام مواطن متفائل .

كتب أطفال

* سلسلة أصدقاء البيئة (٨ قصص) دار زهور المعرفة والبركة

* السلسلة النفيسة في ثورات مصر الحديثة (٥ قصص)

* سلسلة لغز الحضارة المصرية القديمة (٨ قصص)

* سلسلة منجزات الحضارة المصرية القديمة (٦ قصص)

توجد كتب المؤلف في مكتبات أفضل ٤٠ جامعة على مستوى في العالم، ومعظم الجامعات العربية، ومعظم مدارس وجامعات مصر، وكتبت عن مؤلفاته عديد من الصحف العربية، والأجنبية والمواقع الالكترونية .

استضافته قناة النيل الثقافية في برنامج " الرفيق " لعرض كتابه "متى يثور المصريون".

-قررت دولة قطر قصة " وردة المدرسة " على الصف الثالث الابتدائي .

التليفون المحمول: 01226406489

البريد الالكتروني: yuness2005@hotmail.com

موقع المؤلف على الإنترنت www.albab.hooxs.com

***

محتوى الكتاب

الموضوع	الصفحة
المقدمة	٥

مفتاح شخصية أبي بكر

العقاد ومفتاح الشخصية	٧
صفات أبي بكر التي أبلغته منزلة الصديقية	٩
الفرق بين أبي بكر وعمر	١٠
درجات اليقين	١٢
الفرق بين منزلة الصديقية والتحديث	١٤
الصدِّيق والسلفية الحرفية	١٤
أمثلة على الفرق بين الصديقية والتحديث	١٥
الرد على العقاد	١٨

ملامح الشخصية

اسمه ولقبه	٢٥
مولده ونشأته	٢٦
صفاته الخَلْقيَّة	٢٧
صفته الخُلُقيَّة	٢٧
بدء الوحي	٢٨

الموضوع	الصفحة
تحقيق أول من أسلم	٢٩
ثاني من أسلم	٣٠
ثالث من أسلم	٣١
إسلام أبي بكر	٣١
لماذا اشتهر أن أبا بكر أول من أسلم ؟	٣٢
كيف أسلم أبو بكر ؟	٣٣
تعليق ابن كثير على رواية ابن إسحق	٣٣

دعوته لسبيل الله

أشهر من أسلم على يدي أبي بكر	٣٥
أول خطيب في الإسلام	٣٧
لماذا كذَّب زعماء مكة الصادق الأمين ﷺ ؟	٣٩

شجاعته وجهاده

الفرق بين الشجاعة والقوة	٤٣
شجاعة النبي ﷺ	٤٣
أشجع الناس بعد الرسول ﷺ	٤٤
دفاع أبي بكر عن النبي ﷺ	٤٦
شهادة أقوى الرجال لأشجع الناس	٤٧

الموضوع	الصفحة
موقف أبي بكر من موت النبي ﷺ	٤٨
ماذا حدث في سقيفة بني ساعدة ؟	٤٩

ثاني اثنين في الهجرة

بيعة العقبة الثانية	٥١
تآمر قريش لقتل النبي	٥٢
فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لا يُبْصِرُونَ	٥٣
التخطيط للهجرة	٥٤
شهادة عمر على إيثار الصديق النبي على نفسه	٥٧
إيثار الصديق النبي على ماله وأهله	٥٨
ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ	٦٠
يا أبا بكر لا تخف إن الله معنا	٦١
سراقة بن مالك يروي ما حدث له في الهجرة	٦٢
الذين آووا ونصروا	٦٤

أبو بكر وحديث الإفك

السيدة عائشة تحكي حديث الإفك	٦٧
أبو بكر لا يقدِّم بين يدي النبي ﷺ برأي أو حكم	٧١
أبو بكر ومسطح الذي خاض في عرض عائشة	٧١

الموضوع الصفحة

خليفة رسول الله

كيف تمت مبايعة أبي بكر بالخلافة ؟ ٧٣
رأي عمر في بيعة أبي بكر ٧٧
راتب أبي بكر بعد تولّيه الخلافة ٧٨
دستور حكم النبي ﷺ في المدينة ٧٩
دستور الحكم في عهد أبي بكر ٨١

أهم أعمال خليفة رسول الله

قصّة الرّدّة ٨٦
قتال أهل الرّدّة ٨٨
إنفاذ جيش أسامة ٩٠
نتائج بعثة أسامة ٩٤
جمع القرآن الكريم ٩٦

علمه وفطنته

فطنة أبي بكر ٩٩
بما استدل العلماء على أن أبا بكر أعلم الصحابة ٩٩
أقرأ الصحابة وأعلمهم بالقرآن ١٠٠

الموضوع	الصفحة
لماذا لم يرو عن أبي بكر من الأحاديث المسندة إلا القليل ؟	١٠١
الأحاديث الواردة في فضل أبي بكر وحده	١٠٢

مرضه ووفاته

اختلاف روايات مرضه ووفاته	١٠٥
الجمع بين روايات مرض وموت أبي بكر	١٠٦
هل مات أبو بكر شهيداً ؟	١٠٨
وصية أبي بكر لعمر بالخلافة	١٠٩
وقفة مع وصية أبي بكر لعمر بالخلافة	١١٠
وصايا أبي بكر لأهله قبل موته	١١٢
كتب للمؤلف	١١٥
محتوى الكتاب	١١٩

***